جامعة الأزهر

كلية أصول الدين بالقاهرة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الإسلام وتحديات العولمة

تأليف

د / محمد عبدالعزيز محمد عوض

الأستاذ المساعد

بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين ، ورحمة الله للعالمين . سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فلا يزال الإسلام في عصرنا الحاضر يتعرض للعديد من الحملات الشرسة ، والهجمات المسعورة ، والدعاوي المغرضة ، والتحديات الخطيرة من جانب أعدائه الحاقدين والمتعصبين بهدف التشكيك والتشويه المتعمد لصورته الحضارية ، وثوابته الدينية ، وهذا ما تتعرض له أمتنا الإسلامية في هذا المنعطف الخطير إذ تتقاذفها الأمواج من كل الاتجاهات في محاولات غربية بائسة لتشويه صورتها والإساءة إلى ثوابتها . الأمر الذي جعل الإعلام الدولي يلصق بالإسلام تهم الإرهاب ، والعنف والدموية والصراع ، وفي هذا الجو المشحون بالمفاهيم المغلوطة ، والأفكار الخاطئة ، الاتهامات الظالمة عن الإسلام والمسلمين ، ما يحتم علينا أن نرد تلك الهجمات المتكررة عن الإسلام وتاريخه وحضارته ، ونكشف للقاصي والداني في داخل العالم الإسلامي وخارجه عن قيم الإسلام الحقه ، وتعاليمه السمحة ، وحضارته الخالدة التي استظلت الإنسانية كلها بظلالها الوارفة ، ونعمت بأمنها وأمانها قرونا عديدة من عمر الزمان.

لقد غدت المفاهيم الخاطئة ، والدعاوي الباطلة هي الأسلوب الرخيص ، الذي يتعامل به بخبث ودهاء دعاة الاستشراق والعلمانية والتبشير في معظم دول العالم ، وإنه لمن دواعي الأسف أن نجد بعض المسلمين المستسلمين لهذا الغزو الفكري الأوربي يوافقون دعاة الغرب على هذه المواعم ، ويتحمسون لها ، ويناصرون أصحابها ، ويصرحون بها علانية دونما حياء أو تردد بل إنهم يتخذون من الفكر الغربي منهجهم في الحياة وأسلوبهم في التعامل ، ثم إنهم يقلدون السلوك الأوروبي في الملبس والمأكل ، وفي العلاقات الإنسانية والاجتماعية ، فيرددون

أقوالهم، ويستخدمون مصطلحاتهم وتعبيراتهم .

وإنطلاقاً من تلك التحديات الخطيرة ، فقد هبت على العالم العربي والإسلامي رياح عاتية آتية من الغرب النصراني ، محملة بألوان شتى من الثقافات محاولة السيطرة الكاملة على العالم بأسره ، هذه الرياح العاتية والتي أطلت بوجهها القبيح تتمثل في (العولمة) .

وعلى الرغم من نجاح هذا النظام (العولمة) في تشييد حضارة مادية مبهرة في أوروبا وأمريكا حيث قامت على الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات ، والإنترنت والقنوات الفضائية ، وحرية حركة السلع والخدمات ، الثقافة المادية التي عبرت الحدود الوطنية والإقليمية لصالح الدول الأقوى مادياً .

على الرغم من كل ذلك إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً في إقامة حضارة روحية أو حتى تطعيمها بالقيم الدينية والأخلاقية التي لا بد منها لقيام أية حضارة، بل أدت هذه الحضارة المادية ، التي تولدت منها ظاهرة العولمة في العصر الحديث أدت إلى انتشار الفقر والظلم والفساد الخلقي والديني ، وساعدت على التفكك الأسري ، وزيادة الأمراض النفسية مثل القلق والخوف من المستقبل (١) .

ولهذا فإن العولمة التي تستخدمها الآن أمريكا ودول أوروبا بصفة عامة في السيطرة والضغط على شعوب العالم الثالث ما هي إلا حضارة مادية مصطنعة واهية ، وخالية من أية ثوابت ومبادئ وقيم لأنها قامت على تبني مبادئ خاطئة ، وشعارات هدامة ، كالدعوة إلى السياسة بلا مبادئ ، والتجارة بلا أخلاق ، والتعليم بلا تربية خلقية سليمة ، والعلم بلا ضمير ،والديمقراطية بلا حرية ، والبقاء عندها للأقوى وليس للأصلح والأتقى كما هو منهج الإسلام،وعلى الضعيف في زعم دعاة العولمة — الموت — أو الانزواء في أزقة التاريخ .

---

(١) انظر القيم الدينية وثقافة العولمة ص ٣-٤ د / الصاوي الصاوي محمد — سلسلة قضايا إسلامية . العدد ١٢١ — ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥ م — وزارة الأوقاف المصرية

وإذا كانت هذه الخصائص والمبادئ والأسس التي قامت عليها العولمة ، والتي يريد أصحابها فرضها بالقوة ، وتطبيق كل مقوماتها الثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية على العالم أجمع كما هو واضح ومشاهد الآن متجاهلين أن لكل أمة خصوصيتها وثقافتها وقيمها وهويتها ومبادئها ، وتقاليدها الاجتماعية والأخلاقية التي تتناسب مع ظروفها وبيئتها — فما هو موقف الإسلام والمسلمين منها على هذا النحو ، هل يقبل الإسلام هذه الأنظمة والمبادئ والثقافات التي تتعارض في معظمها مع قيمه ومبادئه وثقافته ودعوته ؟ أم يرفضها ؟ أم يأخذ منها ما يتواءم مع ثوابته ، ويتوافق مع واقعه ؟ أم أن عليه معرفة حقيقة هذه الثقافات وما تدعو إليه ؟ ثم يتسلح بالسلاح المناسب لخوض معركة الاستفادة من جوانبها الإيجابية ، وطرح مفاسدها وأضرارها ؟ .

ومن ثم كان من الضروري أن ينشغل كثير من المفكرين والباحثين في عالمنا الإسلامي بدراسة هذه القضية المثارة (العولمة) والتي تعد من وجهة نظري — من أخطر التحديات المعاصرة الملحة ، والتي تفرض نفسها على عقول الدارسين ، لأنه من الواجب علينا حمل أمانة الدعوة إلى الله وتعريف العالم والإنسانية كلها بصورة الإسلام الصحيحة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي راجت لدى العديد من الأوساط الدولية عن الإسلام والمسلمين.

وهذا ما سوف أتناوله بعون الله وتوفيقه في هذا البحث المتواضع (الإسلام وتحديات العولمة) من خلال الكشف عن حقيقة وأسس ومبادئ العولمة التي اقتحمت عقل ووجدان معظم العالم الآن دون استئذان .

وكان الدافع إلى هذه الدراسة ما لاحظته من إقبال كثير من الناس على احتضان ثقافة العولمة في صورتها السلبية دون وعي ولا دراسة ولا تحليل ، ودون معرفة واضحة لما تهدف إليه هذه العولمة من مخاطر على قيم الإسلام وثقافته الأصيلة ، وأيضا ما تمارسه هذه القوى التي تبنت العولمة من الهيمنة الثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية

على معظم دول العالم ـــ مما جعل معظم مواطني تلك الدول يقفون حيارى مكتوفي الأيدي لا حول لهم ولا قوة إلا الخضوع لكل ما تمليه عليهم أفكار العولمة ، ومتخلين عن التمسك بقيم الإسلام الدينية التي هي عماد كل حضارة أصيلة .

لهذا كان من أهم الدوافع التي دفعتني إلى الكتابة عن هذا الموضوع : هو بذل الجهد في معرفة كيف يتعامل المسلمون مع العولمة بعد أن أصبحت أمراً واقعاً لا مفر من دراسته من خلال المعايير الثابتة المتوازنة فلا نرفضها بإطلاق ، ولا نقبلها بإطلاق ، وإنما نتعامل معها على وعي وبصيرة تمكننا من الإفادة من معطياتها ، وتوظيف آلياتها وقنواتها لخدمة الإسلام والمسلمين ، واغتنام تقنياتها لتوصيل رسالتنا إلى العالم أجمع حتى لا تبقى العولمة طريقا ذا اتجاه واحد ، وقد لا نأتي بجديد إذا قلنا ، أن العولمة بدأت عجلتها تسير بشكل متسارع ، وآثارها تلاحظ في كل مكان ـــ سواء في ذلك الدول المتقدمة التي توظفها لمصلحتها أو الدول المتأخرة التي تبوء بآثامها ، وذلك بما قدمته التكنولوجيا ، ووسائل الاتصال والإعلام من إمكانيات هائلة أسقطت الحدود والسدود ، وطوت الزمان والمكان .

لهذه الدوافع والأسباب رأيت من واجبي أن أتقدم بهذا البحث العلمي المتواضع بعد أن استخرت الله تعالى وتوكلت عليه ، لأهميته للدعوة والدعاه ، فتناولته بالمعالجة الموضوعية ، والمنهج العلمي الدقيق القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لأن الأمر يحتاج منا نحن المسلمين إلى وقفة علمية منصفة لنواجه بها تلك الظاهرة بأسلوب علمي يتوخى الحقيقة العلمية المجردة عن التعصب أو الهوى . فإن وفقت فذلك من فضل الله وحده ، وإن أخطأت أو قصرت فذلك من نفسي والشيطان ، والكمال المطلق لله وحده ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ {٨٨}[٢]

(٢) سورة هود / ٨٨

صدق الله العظيم ، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور
محمد عبد العزيز محمد عوض
كلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر
في ١٤/٨/٢٠٠٦م

والله الموفق

التمهيد

تحديد المفاهيم والمصطلحات

جرت عادة العلماء والباحثين في شتى فروع العلم أن يقدموا لدراساتهم وأبحاثهم بتمهيد أو مدخل يتناول التعريف ببعض المعاني والمفاهيم والمصطلحات العلمية التي تدور حولها فكرة الموضوع المعروض على بساط البحث، وذلك لأن محاولة تحديد المعاني والمفاهيم لأي موضوع من الموضوعات العلمية مما يخدم الباحث والقارئ معاً في فهم أبعاده واستيعاب معظم عناصره المتعلقة به.

ولما كان الموضوع العلمي الذي أتناوله في هذه الدراسة يدور حول [الإسلام وتحديات العولمة].

رأيت من تمام الفائدة والالتزام بالموضوعية وقواعد الأمانة العلمية أن أستهله بتعريف واضح لكل مصطلح من المصطلحات الواردة في ثنايا هذا البحث. ذلك لأن استيعابنا أولاً لتلك المفاهيم والمعاني عن ظاهرة العولمة وما يؤدي إليها من مفاهيم أخرى مما يفيدنا كثيراً في المعالجة العلمية الصحيحة لمعظم الجوانب المتعلقة بهذه الدراسة،وذلك على النحو التالي:

أولاً: معنى العولمة في اللغة:

إن العولمة مصطلح من المصطلحات الحديثة التي شاعت بين الناس في العصر الحديث مثل الحداثة وما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار وغيرها، وهي في الحقيقة مصطلح جديد على لغتنا العربية الأصيلة والأصل فيها من ناحية اللغة أنها مصدر على وزن (فوعلة) مشتق من كلمة العالم كما يقال(قولبة)اشتقاقاً من كلمة قالب (٣) فالتعبير صحيح من الناحية اللغوية كما يرى بعض العلماء المعاصرين(٤) وإن لم يرد لها ذكر بهذه التسمية في كتب اللغة على هذا النحو.

والكلمة بهذا الاشتقاق اللغوي تعني أول ما تعني : جعل الشيء على مستوى عالمي. أي : نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة. والعولمة نسبة إلى عالم الأرض، وقد دعى هذا النظام باسم الكوكبة نسبة إلى كوكب الأرض بمعنى: إقامة نظام واحد يحكم العالم كله. وهذا الإطلاق غير صحيح إذ الصواب أنه نظام منسوب إلى عالم الإنسان حيث وجد الإنسان فوق ظهر الأرض ومن ثم فلا تصح نسبته إلى الكون. لأن كلمة الكون في أصل معناها تشمل الأرض والسماوات وما بينهما، ولا يمكن أن يضع البشر نظاماً للكون كله (٥)

ثانياً: معنى العولمة في الاصطلاح:

تعددت وتنوعت وجهات نظر العلماء والباحثين حول تحديد مصطلح العولمة إلى عدة تعريفات، وهي وإن تعددت وتنوعت كلها تؤدي إلى معنى أو تعريف واحد يكاد يتفق عليه الجميع، ويجدر بي

---

(٣) انظر ــ المسلمون والعولمة ص ٩ ــ د / يوسف القرضاوي ــ طبعة سنة ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠م دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة ــ بتصرف .

(٤) وهو أستاذنا الدكتور / يوسف القرضاوي ــ في مؤلفه السابق ص / ٩ طبعة ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م ــ دار التوزيع والنشر الإسلامية بتصرف.

(٥) انظر نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص / ١٥٧ ــ د / عمر سليمان الأشقر ــ الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢ ــ الأردن ــ بتصرف.

هنا أن أعرض بعون الله وتوفيقه لبعض هذه التعريفات حتى يتبين لنا حقيقة العولمة التي يروج لها اليوم مفكرو الغرب في شتى أنحاء العالم وذلك على النحو التالي:

١- فمن العلماء من عرّف العولمة : بأنها عبارة عن اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات أو السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصال، وهذا الاغتصاب الثقافي الأوروبي سوف يؤذن من جديد بتفجير طوفان العنصريات الأوروبية والتي تأخذ أشكالاً شتى (٦).

٢- ومنهم من يرى أن العولمة تعني : تعميم الشيء وتوسيع دائرة استخدامه. بمعنى أنه إذا حدثت الدعوة إلى العولمة من بلد ما أو جماعة معينة. فإنها تؤدي إلى نشر النمط الثقافي والسياسي والاقتصادي الذي يخص ذلك البلد بحيث يسود في النهاية العالم كله، وهذا ما تتبناه وتدعوا إليه معظم دول أوروبا المسيحية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية(٧).

٣- ومنهم من عرفها : بأنها عبارة عن أحد الأنظمة الغربية الجديدة التي تريد فرض الهيمنة الأوروبية على العالم بواسطة المركزية الأمريكية في العصر الحديث وهذه المركزية التي تقوم على مبدأ العنصرية الغربية، وعلى الرغبة في السيطرة من جانب واحد. الأقوى ضد الأضعف، والغني ضد الفقير، والعالم ضد الجاهل، والأبيض ضد الأسود، والغربي ضد العربي، واليهودي ضد المسلم كما هو الحال الآن في أسلوب التعامل الأمريكي مع دول العالم، وكما هو حاصل الآن أيضاً في تعامل إسرائيل مع العرب بصفة عامة مما لا يستطيع إنكاره أو تجاهله كل عاقل منصف.

والعولمة بهذا المفهوم تحاول فرض نموذج معين من الثقافة الاستهلاكية الموجهة أساساً لدعم العمل الاقتصادي والتجاري والسياسي والعسكري من نشر

---

(٦) انظر كتاب الأمة القطرية ص /٢٢ ــ العدد ٨٦ سنة ١٤٢٢هـ . بحث للدكتور بركات محمد مراد ــ السنة الحادية والعشرون ــ قطر ــ بتصرف.

(٧) انظر القيم الدينية وثقافة العولمة ص / ٦٥ ــ د / الصاوي الصاوي محمد

تكنولوجيا المعلومات وصناعة السينما والفنون المختلفة والتي تتفق أو تختلف مع هوايات الدول التي تحاول غرسها فيها بهدف تدمير ثقافة الشعوب الخاصة [٨]

إذن فالعولمة حسب هذا التعريف : تدعو إلى إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب بعضها وبعض، وبين الأوطان بعضها وبعض، وبين الثقافات بعضها وبعض، وبذلك يقترب الجميع حسب التصور الغربي الأمريكي ـ من الثقافة العالمية، وصهرها وذوباتها في بوتقة الاتجاه العنصري الأوروبي.

أستطيع القول: إن الأمر يتعلق في صراحة بالدعوة إلى توسيع النموذج الأمريكي، وفتح المجال أمامه ليشمل العالم كله ـ وبالتالي ـ تكون العولمة إلى جانب كونها نظاماً اقتصادياً هي أيضاً أيدلوجيا تعكس هذا النظام وتخدمه وتكرسه

١ - وهناك من العلماء : من يقرن بين العولمة والأمركة في منظومة واحدة أي : نشر وتعميم الطابع الأمريكي، وليس أدل على ذلك مما ذكره الدكتور / يوسف القرضاوي في مؤلفه [٩] حين قال ((إن العولمة في أوضح صورها اليوم تعني : تغريب العالم أو بعبارة أخرى: أمركة العالم . إنها اسم للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة ليمارس عهداً جديداً من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان الخادع البراق(العولمة) . إنها تعني : فرض الهيمنة الأمريكية على العالم ، وأي دولة تنشز أوتتمرد لابد حسب وجهة النظر الأمريكية ـ أن تؤدب بالحصار أو التهديد العسكري، أو الضرب المباشر كما حدث مع العراق والسودان وإيران وليبيا وفلسطين ولبنان مؤخراً[١٠] وقت كتابة هذه السطور.

---

(٨) القيم الدينية وثقافة العولمة ص٦٨ ـ ٦٩ دار الصاوي الصاوي محمد ـ مرجع سابق وانظر أيضاً ـ الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية ص / ٣٤ ـ المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٩٩م ـ بتصرف.

(٩) انظر كتاب المسلمون والعولمة ص / ١٣-١٤ باختصار.

(١٠)انظر المسلمون والعولمة ص ١٣ ـ مرجع سابق ـ وتطبيقاً لمفاهيم

لذلك تعني فرض السياسات الاقتصادية التي تريدها أمريكا عن طريق المنظمات العالمية التي تتحكم فيها إلى حد كبير مثل : البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها.

كما يدل مصطلح العولمة على فرض ثقافتها المادية الخاصة التي تقوم على النفعية وتبرير الحرية الداعية إلى الفوضى والإباحية[١١]

أيا ما كان شأن العولمة فإنها تصب في النهاية لصالح الأقوياء ضد الضعفاء، ولكسب الأغنياء ضد الفقراء، ولمصلحة الشمال الغني ضد الجنوب الفقير، وإن فتح الأبواب على مصاريعها بدعوى هذا المصطلح الغريب الوافد ـ في مجالات التجارة والاقتصاد والتصدير والاستيراد، أو في مجال الثقافة والإعلام سوف يكون لحساب القوى الكبرى، والدولة التي تملك ناصية العلم والإعلام الجبار، والتكنولوجيا العالية والمتطورة وهي أمريكا إنه الاستعمار القديم في وجه جديد واسم جديد ، وإن الاستعمار دائما يغير لونه كالحرباء ويغير جلده كالثعبان، ويغير وجهه كالممثل، ويغير اسمه كالمحتال، ولكنه هو وإن غير شكله وبدل اسمه.

وبالجملة فإن ما عرضته هنا من تعريفات عن العولمة إنما هو غيض من فيض لا يخرج عن محاولات علمية متواضعة لعلها تساهم بقدر من التصور والفهم الذي يمنح قدراً لابد منه لإدراك مصطلح العولمة وآلياتها، وبعض آفاقها التي يمكن ارتيادها باعتبار أنها ليست شراً كلها، وليست خيراً كلها كما سنوضحه في موضعه من هذا البحث .

العولمة في ثوبها العنصري الأوروبي ـ حاولت إسرائيل بإيعاز وتحالف من أمريكا الإغارة على دولة لبنان، وتوغلت بجبروتها وطغيانها في احتلال بعض أراضيه ضاربة بكل تعاليم الأديان والقوانين والأعراف الدولية عرض الحائط، ومتحدية بذلك العالم كله. وتم ذلك في شهر يوليو ٢٠٠٦م.

(١١) انظر المرجع السابق ـ بتصرف، وانظر نحو ثقافة إسلامية أصيلة.

المبحث الأول

بين العولمة والعالمية

قد يتوهم البعض أن هناك اتفاقاً في المعنى بين العولمة والعالمية نتيجة التشابه الظاهري بين الكلمتين. ولكن قد يزول هذا التوهم في حينه عندما يتبين أن هناك فروقا جوهرية، واختلافا واضحا بين معنى كل من هاتين الكلمتين، وإن اتفقتا في الشكل.

فالاختلاف في المضمون والهدف واضح. لذا كان من المفيد أن أوضح هذه الأمور حتى لا تلتبس على الناس في معرض الحديث عن ظاهرة العولمة، وهذا ما سوف أوضحه الآن على النحو التالي:

أولا: فمع أن كلا منهما يتسم بالخروج عن المحلية والإقليمية، ومن الفضاء المحلي المحدود إلى عالم أرحب وأوسع. إلا أن العولمة تلتصق بتعميم أسلوب التقنية والسلع والسياحة والمعلوماتية. وأما العالمية في الإسلام فتدعو إلى احترام القيم وحقوق الإنسان، وتوجيه الحريات والثقافات إلى خدمة الإنسانية وتقدمها. على حين نجد أن العولمة تحمل طابع الهيمنة والفعل الأحادي ذي الاتجاه الواحد، فتضغط على كل ما هو خاص وتقصيه. أما العالمية فهي تشوف وطموح إلى الارتفاع بما هو خاص إلى مستوى عالمي (١٢)

ثانياً: عالمية الإسلام حقيقة مقررة وثابتة وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فالإسلام رسالة عالمية من بين سائر الأديان السابقة لأنه ليس بعد كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) كتاب سماوي آخر، وليس بعد بعثة رسول الله سيدنا محمد ﷺ بعثة رسول آخر، قال تعالى ﴿إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ(١٣)﴾ وقال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً{٤٠}(١٤)﴾ وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ{١٠٧}(١٥)﴾ وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً(١٦)﴾

(١٢) انظر كتاب العولمة ص / ٤٩-٥٠ د / عبدالكريم بكار. طبعة ثانية ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م ـ مكتبة دار البيان الحديثة ـ الطائف ـ السعودية . بتصرف.

(١٣) سورة آل عمران / ١٩

(١٤) سورة الأحزاب / ٤٠

(١٥) سورة الأنبياء / ١٠٧

(١٦) سورة سبأ / ٢٨

وهذه العالمية التي قامت عليها دعوة الإسلام تتميز بأنها ربانية المبدأ أو الرسالة والمضمون والغاية. لأن الله تعالى هو الذي أرسل الرسول ﷺ وهو الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى. أما العولمة فليست ربانية المبدأ ولا المحتوى بل هي صناعة بشرية من تأليف العقل البشري القابل للخطأ والصواب، ولا سيما أنها نبتت في تربة أوروبية مسيحية. فلم يرسل بها رسول، ولم ينزل بها كتاب فلا عصمة لها ـ بل ـ أريد منها جعل بعض النظم البشرية عالمية وذلك بالتأثير في الثقافات والجوانب الاجتماعية وأنماط المعيشة. فالعولمة تختلف عن عالمية الإسلام بأنها تدعو في ظاهرها إلى التقدم المصحوب بالهيمنة والسيطرة الأوروبية على العالم وصهره في بوتقة الغرب المسيحي وتنطوي في باطنها على إحداث شروخ كبيرة في حياة الدول اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً وأخلاقياً (١٧)

ثالثاً: تختلف العولمة عن العالمية من ناحية تحقيق الهدف الذي تسعى إليه. فنظام العولمة في صورته السلبية وكما تروج له دول الغرب وعلى رأسها أمريكا فإنه لا يتحقق إلا في ظل تنميط الشعوب، وتوحيد الأذواق وإلغاء النماذج وفرض الاختيارات بالقوة بما يؤدي إلى وجود صراعات بين الأمم والحضارات ، ثم إنها لا تهدف إلى توخي العدالة والإنصاف كما تدعي فما هي إلا محاولات للهيمنة والتغريب، وتعميم الهوية الثقافية الأقوى وفرضها على كل بلدان العالم الفقيرة بالقوة كما هو حاصل الآن.

وأما الهدف الذي تسعى إليه عالمية الإسلام فيتجلى في الدعوة إلى تقريب العالم وتفاعل دوله مع بعضها البعض تفاعلاً إيجابياً بناء، ومحاولة رسم صورة نموذجية لهذا العالم لا يظلم فيها أحد. ثم إن عالمية الإسلام تقوم على نشر القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية ، والحفاظ على الكرامة الإنسانية مهما اختلفت الأمم والشعوب في

(١٧) انظر إنسانية الحضارة الإسلامية ص/ ٨٢-٩٠ د / أحمد عمر هاشم سن سلسلة قضايا إسلامية ـــ وزارة الأوقاف ـ العدد ١٢٣ القاهرة ١٤٢٦هـ

معتقداتها وتقاليدها وأعرافها بينما العولمة تحاول جعل العالم كله في قالب واحد، وصبغه بصبغة واحدة مادية لا دينية (١٨)

رابعاً : أضف إلى ما سبق أن العالمية لأي نظام من النظم لا يستمدها من الخارج، وإنما من صميم تكوينه.فهذا النظام(العولمة) ليس عالمياً كالعالمية التي بني عليها الإسلام لأن الذين دعوا إليه وروجوا له هم فئة معينة، وهم وحدهم المستفيدون من الطبيعة في تحقيق أطماعهم ومصالحهم الاقتصادية والاستعمارية على مستوى العالم أما عالمية الإسلام فهي خصيصة ذاتية فيه لا يستمدها من خارجه ، وإنما من داخله ومن جوهره متمثلاً في عقيدته وشريعته ومعاملاته وأخلاقه، لأنه دعوة للناس كافة، كذلك فإن الفئة الداعية له لا تدعو لنفسها ، وإنما تدعوا لله وليس من أهدافها فرض السيطرة أو الهيمنة أومصادرة حق اختيار الناس، وإنما غايتها الدفاع عن كرامة وحرية الإنسان في أي مكان بما توصله من مبادئ العدل والخير والإخاء وإشاعة السلام بين بني الإنسان، وليس فيها أي وسيلة من وسائل الإجبار أو القهر أو التخويف، وإنما الحرية فيها مكفولة للجميع (١٩) في إطارها السليم قال تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٢٠) ﴾وقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ{٩٩} (٢١) ﴾ وقال عز وجل ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ (٢٢) ﴾ ولهذا نجد بعض العلماء يؤكد هذه الفروق فيقول ((هناك فروق جوهرية بين العولمة

(١٨) الإسلام والغرب ص/٣٠٥. د / عبدالحفيظ عبدالرحيم محبوب ــــ المؤتمر الدولي السادس للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم. جامعة القاهرة ٢٠٠٢هـ.

(١٩) الفكر الإسلامي ومستجدات العصر ص٤٩-٥١ ــ محمود القليني ــ سلسلة قصار إسلامية ــ العدد ١٢٢ــ طبعة ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م ــ وزارة الأوقاف بالقاهرة.

(٢٠) سورة البقرة / ٢٥٦.

(٢١) سورة يونس /٩٩.

(٢٢) سورة الكهف / ٢٩.

الإسلامية والعولمة الجديدة: فالعولمة الإسلامية هدفها نشر القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية، والحفاظ على الكرامة الإنسانية، وتأكيد حق كل إنسان في الحرية والمساواة، وحماية الأنفس والمعتقدات والعقول والأموال والأعراض، وإقامة موازين العدل بين الناس... (٢٣)

وإن كان لنا بعض التحفظات على تعبير (العولمة الإسلامية) فليس هناك من وجهة نظري ما يسمى بالعولمة الإسلامية في مقابل العولمة الأمريكية لأن الإسلام دين إلهي عالمي لا يريد أن يخضع الناس وفق نموذج معين من الحياة والتفكير والثقافة، أو يجبر الناس على التعامل داخل إطار فلسفة معينة (٢٤) والسير على أيدلوجية محددة قبلا. وإنما يعرض على الناس أن يؤمنوا بالله وحده. ومن الإنصاف أن نقرر مطمئنين الفرق الشاسع. والاختلاف الكبير بين الخضوع المبني على القوة والإكراه والهيمنة، وبين الخضوع والإيمان القائم على الاختيار والإرادة البشرية. ولهذا فإن الإسلام لا يطلب من الناس الحياة أو التعامل وفق فلسفة وضعية معينة، وإنما يترك لهم العيش كما يشاءون والتعامل كما يحبون شريطة أن ينعموا بالحب والعدل والتكافل، وأن ينبذوا العصبية والعنصرية ودعاوي الجاهلية، وعدم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان بل مساعدته وإعانته وإيثاره على نفسه إذا دعت الحاجة إلى ذلك كما قال تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٩} (٢٥)﴾

ومجمل القول: أن كل ما جاء به الإسلام من قيم ومبادئ أخلاقية ربانية لم نجد مثلها أو بعضاً منها في عولمة النظام العالمي الجديد وإنما هي خلق أصيل في الإسلام، ولهذا فإنني لا أميل ولا أستحب إطلاق مصطلح العولمة الإسلامية

(٢٣) الإسلام في عصر العولمة ص/١٧ ــ د/ محمود حمدي زقزوق ــ إصدار وزارة الأوقاف.

(٢٤) انظر الإسلام ومستجدات العصر ص ٥١ ــ للأستاذ محمود القليني مرجع سابق ــ بتصرف يسير.

(٢٥) سورة الحشر /٩.

على عالمية الإسلام(٢٦) مجاراة للعولمة الغربية — لأن المماثلة هنا مفقودة أو منعدمة تماماً وإنما الصواب أن نسميها بعالمية الإسلام، وإلا فكيف نسوي بين دين إلهي صادر من العلي الأعلى وهو الله عز وجل، وبين فكر بشري، وصناعة أوروبية لا تعترف بالدين، ولا بالقيم والأخلاق الإنسانية النبيلة.

خامساً: تختلف عالمية الإسلام عن العولمة الغربية في أنها قامت على قاسم مشترك بين حضارات العالم، وقبلت التفاعل مع الآخر بالأخذ والعطاء، وتعاملت مع الاختلاف بين البشر باعتباره من الحقائق الكونية، والسنن الإلهية كما أنها تحترم التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف(٢٧)، وأما العولمة فهي تسعى إلى إزالة كل هذه الخصوصيات، ومحو كل ألوان التمايز والاختلاف بين البشر، وعدم الاعتراف بالفطرة الإنسانية، لتصل من وراء ذلك كله إلى جعل الإنسانية كلها في إطار واحد رغم مصادمته للفطرة.

الفرق بين العولمة والعلمانية:

إذا كنا قد أوضحنا فيما سبق بعض أوجه الاختلاف والمقارنة بين مصطلحي (العولمة والعالمية) فإنه من تمام الفائدة العلمية هنا أن أعرض أيضاً في هذه العجالة لنوعية العلاقة أو الصلة بين العولمة والعالمية فأتساءل. هل هناك من تشابه أو مشاركة بين الكلمتين في المعنى والهدف أولاً ؟؟ وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من تحديد مفهوم كلمة العلمانية وذلك على النحو التالي:

تحديد مفهوم العلمانية:

عرفها بعض العلماء بقوله ((إن العلمانية: ترجمة غير دقيقة بل غير صحيحة لكلمة (SECULARISM)في الإنجليزية وهي كلمة لا صلة لها بلفظ (العلم) ومشتقاته على الإطلاق، ثم زيدت فيها الألف والنون على غير قياس في اللغة

(٢٦) انظر الفكر الإسلامي ومستجدات العصر ص ٥١ - محمد القليني، بتصرف.

(٢٧) انظر القيم الدينية وثقافة العولمة ص ٩٩- د / الصاوي الصاوي محمد — نقلاً عن كتاب الإسلام والقوى العالمية د / محمد ربيع ص ٥٦ — بتصرف.

العربية مثل كلمة : رباني وروحاني ونفساني — ومثلها كلمة(علماني). والترجمة الصحيحة للكلمة هي(اللا دينية أو الدنيوية) لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب بل بمعنى أخص، وهو ما لا صلة له بالدين. فالكلمة إذن حديثة الاستعمال في لغتنا العربية شأنها شأن بعض الكلمات التي أصبحت مصطلحات أو لها قوة المصطلحات في عصرنا والكلمة على أية حال سواء كانت بفتح العين أو بكسرها فهي مترجمة عن اللغات الأوروبية، وكان يمكن أن تترجم بلفظة (لا دينية) ومعناها في الإنجليزية (ما ليس بديني)ولكن اختيرت كلمة(علماني) لأنها أقل إثارة من كلمة لا ديني (٢٨).

والعلمانية بهذا المعنى تدعو إلى : فصل الدين عن المجتمع والدولة، وقصره على العلاقة بين الله والإنسان، وقد ظهرت في أوروبا نتيجة عدة عوامل منها موقف رجال الدين من النهضة والكشوف العلمية، كما تعنى بهذا المفهوم تعطيل الإسلام عن التطبيق وإقصائه عن الحركة في حياة المسلم، وهي مصطلح له طابع التمويه فقد أريد به تخفيف وقع كلمة(لا دينية) على الأسماع برده إلى الاشتقاق من العلم أو العالم التي لا تثير حفيظة المسلمين في زعم مفكري الغرب العلماني (٢٩) يقول أحد الكاتبين في بيان حقيقة كل من العولمة والعلمانية: ومما يلابس العولمة ويتقاطع معها (العلمانية) وهي تعني فصل الدين عن الدولة ، أو إقامة الدولة بعيداً عن تعاليم الدين، أو على نحو لا يقتضي ضرورة الالتزام بها، والعلمانية أيضاً نقيض اللاهوتية التي تؤمن بسلطة الكنيسة، ولم تكن عند نشأتها في أوروبا تستهدف مناهضة المسيحية بل مثلت حركة فكرية تلازمت مع تطور البنى الاجتماعية ضد التفسيرات الكنسية الحرفية المطلقة للنصرانية، ومع مرور الوقت تطور

(٢٨) انظر الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ص٤٢-٤٥، دار يوسف القرضاوي. الطبعة السابعة ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة — بتصرف.

(٢٩) انظر الإسلام والتيارات الوافدة ص ٣٣ — ٣٥، الأستاذ أنور الجندي — إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب — طبعة ١٩٨٧م — بالقاهرة بتصرف.

معنى العلمانية من مجرد الرغبة في الحد من نفوذ ما هو روحي إلى تعبير أيدولوجي [٣٠]

وانطلاقا من هذا ومقارنة بما ذكرناه من معاني العولمة فإن الأصل أن تكون دلالات العولمة مغايرة لدلالات العلمانية — لكن بما أن العولمة تعبر — كما سبق القول — في غالب الأمر عن طموحات شعوب علمانية أقامت معظم شئونها بعيداً عن مفاهيم أي دين، وبما أن العولمة تعمم معطيات كافية دنيوية، ومادية بحتية دون أي اهتمام بمدى انسجام تلك المعطيات مع الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر فإنه يمكننا من خلال النظرة الفاحصة أن نقول:

إن العولمة في صورتها الغربية الراهنة تتنفس في محيط علماني، وتنشر الفكر العلماني، وتؤسس لأرضيات وخلفيات علمانية، وأظن أن هذا شيء منطقي يمكن قبوله. إذ كيف يمكن لأوربا واليابان مثلاً أن تسوق أفكاراً ومفاهيم وتقاليد هي في عداء لها أو على الأقل هي بعيدة في ممارستها اليومية عنها وهذا يشكل تحدياً من أكبر التحديات لأمة الإسلام [٣١]. إن نظام الحياة في الغرب يعتمد اعتماداً أساسياً على تقديس العلمانية، ومعنى هذا أن العولمة التي نبتت (من وجهة نظري) في أحضان الفكر المادي العلماني — تحاول هي الأخرى فرض العلمانية على العالم كله تحت مسمى (العولمة) إنهم في الغرب يريدون فرض نظامهم الذي حكموا به حياتهم على المجتمع الإنساني كله. بعيداً عن الدين، ويريدون عولمة الأخلاق [٣٢] والقيم والتعليم والاقتصاد والسياسة وغيرها من الجوانب المختلفة.

إذن فالعولمة في صورتها الغربية — لم تكن بمعزل أبداً عن أفكار العلمانية بل قامت على أكتافها مع إجراء بعض التعديلات في بعض أساليبها، لتخدع العالم بثوبها الجديد، وتحقيق الهيمنة الغربية

(٣٠) انظر العولمة ص ٤٩-٥٠د/ عبدالكريم بكار، طبعة ثانية ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م.

(٣١) المرجع السابق ص / ٥٠ — بتصرف يسير.

(٣٢) انظر نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٥٨ — د / عمر سليمان الأشقر مرجع سابق — بتصرف.

المطلقة على العالم. هذا ما يقرره بعض الباحثين بقوله ((وفي اعتقادي أن محاولة تأهيل الشعوب للهيمنة وامتداد الآخر أو صنع القابلية للعولمة عن طريق تسييد الثقافة الوافدة، والنمط الثقافي الواحد، وإلغاء الخصوصيات بدأت تاريخياً عقب محاولة إبعاد الحياة عن الدين في الغرب المسيحي أو فصل الدين عن الدولة ، وهذا ما اصطلح على تسميته بالعلمانية التي يمكن أن نعتبرها الطريق الرئيس الموصل للعولمة.

لذلك كانت محاولات إزاحة الدين، وفصل الحياة عن العقيدة، وما أحدث ذلك من الانشطار الثقافي هو الأخطر في العملية الثقافية. حيث تم تقسيم التعليم إلى ديني ومدني، ومن ثم تهميش التعليم الديني، وعزله عن وظائف المجتمع [٣٣].

فمن كل ما سبق تتضح خطورة العلاقة بين ظاهرة العولمة، وبين مبادئ العلمانية، حيث قامت كل منهما حسب ما يزعم الغرب — على إقصاء الدين عن واقع الحياة، وحصره في خدمة الشعائر، والعبادات فقط دون أن يكون له دور في توجيه الحياة، وحيث قامت كل منهما أيضاً على التنكر للقيم والأخلاق الفاضلة، وإشاعة الفوضى والإباحية بشتى الطرق والوسائل غير المشروعة، وذلك تمهيداً لاحتلال دول أوربا وفي مقدمتها أمريكا — للعالم فكريا وسياسيا وعسكرياً، وهذا ما نلمس بعض آثاره على الساحة الدولية في عصرنا الحديث، ولعل ما يتعرض له العالم الإسلامي الأن من ممارسات وحشية لا دينية ولا أخلاقية من دول الغرب المسيحي، والصهيونية اليهودية — لعله في تقديري — هو الترجمة العملية لمخططات العلمانية والعولمة كما تروج لهما الدول المعادية للإسلام والمسلمين، والله من ورائهم محيط. قال تعالي: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ{٣٢} هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ{٣٣} [٣٤]﴾

(٣٣) انظر . ظاهرة العولمة . رؤية نقدية ص٣٥-٤٢ — د / بركات محمد مراد . مجلة الأمة القطرية — العدد ٨٦ — السنة الحادية والعشرون ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م . باختصار.

(٣٤) سورة التوبة / ٣٢-٣٣

المبحث الثاني
أسباب ظهور العولمة

من المعلوم أن لكل نظرية أو فكر أو مذهب من المذاهب أسبابه ودوافعه التي ينتج عنها، والتي تساهم بقسط كبير في قيامه حتى يستوي على سوقه، ولما كانت العولمة في حالتها الراهنة مجرد أفكار وتصورات بشرية وافدة — كانت هي الأخرى كأي فكري بشري لها عدة أسباب ودوافع تمخضت عنها — وأدت إلى ذيوعها أو انتشارها على الساحة العالمية في عصرنا الحاضر.

ومن المفيد أن نذكر بعض هذه الأسباب على النحو التالي:

أولا: النظرة الاستعلائية عند الغرب: فقد قامت العولمة عند دول الغرب، على التعصب العنصري ومن هنا كانت محاولة فرض العولمة على العالم الإنساني بأسره فيما أرى نابع من النظرة الاستعلائية والفوقية من الغرب باتجاه الشعوب كلها، فالذين يريدون فرض هذا النظام على العالم كله يظنون أنه جدير بتحقيق السلام والأمن بين الأمم ، ويزعمون أن من حقهم أن يفرضوه على العالم، وإنما جاء هذا التوجه لفرض هذا النظام بعد أن زالت القوة العظمى الثانية التي كانت تواجه أمريكا وهي الاتحاد السوفيتي. ففي بداية العقد الأخير من القرن العشرين ذبح أبناء الشيوعية الشيوعية بأيديهم، ودفنوها غير آسفين على موتها وزوالها. مع أنها حكمت ديارهم مدة تقارب ثلاثة أرباع القرن، وقد فعلوا ذلك لأنهم لم يجدوا من ورائها إلا البلاء والظلم والفقر فكيف يأسون على من فعل بهم ذلك كله (٣٥)

ثانياً: التطور العلمي الذي اكتسح أنظمة العالم المتقدم منذ التسعينات خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية. هذا التطور الذي يعد القوة المحركة لأنظمة العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية، ومما لا شك فيه أن هذا التطور العلمي التقني لدول المركز هو الذي أعطى لها رخصة الهيمنة والسيطرة على

(٣٥) انظر — نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص٣١ . د / عمر الأشقر– نقلا عن: النظام الدولي ص٢٨ — ياسر شبانة – بتصرف.

أغلب وسائل الاقتصاد، واحتكار رأس المال، وقد تحقق ذلك في احتكار أمريكا وبعض دول أوروبا لصندوق النقد الدولي، واتفاقية الجات (التجارة العالمية) وأدى ذلك كله إلى فرض الهيمنة العسكرية أيضاً (٣٦).

ثانيا: أيضا من الأسباب التي أدت إلى ظهور العولمة : تفكك الاتحاد السوفيتي، وانهيار الكتلة الشرقية المرتبطة به في الفترة من [١٩٨٩ — ١٩٩٠] مما ساعد على ظهور القوى العظمى، وجعلها تسعى بكل قوتها إلى الترويج للنظام الاقتصادي والثقافي الذي تعتنقه مصحوباً بكل خصائصه على المستوى السياسي والثقافي والأخلاقي، وبدأت في الظهور تلك النظريات والأفكار التي تبشر بسيادة هذا النظام، وهزيمة كل ما سواه من النظم السياسية، ومن هنا بدأ الترويج لفكرة نهاية التاريخ التي دعا إليها (فوكوياما) في نهاية التاريخ(٣٧) وكذا الترويج لصدام الحضارات التي دعا إليها(صموئيل زويمر (٣٨).

رابعاً: القوة الهائلة التي بلغتها دول المركز في ثورة المعلومات والاتصالات التي اخترقت كافة الحدود والسدود، بل واخترقت عقول ومشاعر وعواطف الإنسان المعاصر مما ساعد بل شكل بالفعل العقلية الإنسانية ، وأنتج مفاهيم جديدة، وغير العادات والتقاليد التي كانت سائدة عن طريق البث المباشر وغير المباشر لبرامج ما أنزل الله بها من سلطان، وتزداد خطورة هذه القوة المادية الغربية عندما توجه برامجها الخبيثة إلى مجتمع ضعيف العقيدة، والقيم الدينية والثقافية مما

(٣٦) انظر القيم الدينية وثقافة العولمة ص٤٧-٧٧ . د / الصاوي محمد — نقلاً عن: الدعوة الإسلامية في عصر ثورة المعلومات ص٧٥ — المؤتمر الدولي الخامس للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

(٣٧) المرجع السابق — بتصرف.

(٣٨) راجع حولية كلية أصول الدين . القاهرة. لسنة ٢٠٠٥م — فقد وفقني الله تعالى وأعانني على كتابة بحث حول هذه المقولة الظالمة عند الغرب — تناولت فيه الردود العلمية لإبطال هذه المقولة. (انظر بحث الإسلام والتواصل الحضاري) في الحولية المذكورة.

يـؤدي فـي النهاية إلى محو ثقافة وقيم وعقائد المجتمع الأصلي [٣٩]، وهـذا هـو كل ما يسعى إلى تحقـيقه دعاة العولمة بكل ما يملكون من قوة.

بالفعل حـدث تأثير كبير بسبب وجـود العديد من الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض الآن. والتي ترسـل إشارات لاسلكية يمكنها نقل مـا تـريد إلى من تريد. ومن هنا تعددت الـثقافات القوميـة التـي تستهدف الهيمنة على الأفراد الذين ينـتمون إلـيها، وما زالت العولمة مستمرة فـي تنفـيذ مخططاتهـا للـسيطرة علـى العالم. فتكشف كل يـوم عـن جديد، وأهداف جديدة، ووسائل جديدة، ولا يعلم أحد إلا الله إلى ما سوف تؤدي بنا هذه الطفرة من الهيمنة ﴿ والله غالب على أمره ولكـن أكثـر الـناس لا يعلمون ﴾ سورة يوسف/ ٢١.

خامساً: تصميم اللوبي الصهيوني فـي مخططـه العنصري والعدواني على السيطرة على معظم دول العالم وبـالأخص العالم العربي (الشرق الأوسط) بمساعدة الولايات المتحدة الأمـريكية كمـا نشاهدها الآن في معظم الدول العربية والإسلامية مثل العـراق وسـوريا وإيـران ولبنان وغيرها. وكل هذا يحدث على مرأى ومـسمع من العالم بأسره تحت ما يسمى بتحقيق مبادئ العولمة.

هذه ــ فيما أرى ــ أبرز الأسباب والدوافـع التـي مهـدت السبيل ، وأتاحـت الفرصـة لنشأة العولمة ، ولعل هناك أسباباً أخرى وراءها. قد يوفـق الله بعض الباحثين لإظهارها والكتابة عنها، ولكنني اكتفيت بذكر بعضها هنا رعاية لمقتضيات البحث حسب المنهج العلمي.

---

(٣٩) القيم الدينية وثقافة العولمة ص٧٨ ــ مرجع سابق ــ بتصرف.

المبحث الثالث
أهـداف العولمـــة

إذا كـنا قـد علمـنا من قبل أن العولمة تعنـي : فـرض الهيمنة الأوروبـية المطلقـة علـى العالم لاستغلاله اقتـصادياً وسياسـياً وعـسكرياً فإنها تسعى لتحقيق كل ذلـك من خلال التزامها بعدة مبادئ وأهداف من شأنها أن تصبح خطراً يهدد جميع الدول الفقيرة في مقابل تحقيق عدة مكاسب وامتيازات للدول الـتي تبنت العـولمة وتتمثل تلك الأهداف والمبادئ فيما يلي:

١- العمـل على إزالة الحواجز الـزمانية والمكانـية والثقافـية والـسياسية والاقتصادية بين الأمم والشعوب. في محاولة بشتى الطرق لفرض ثقافـات وقـيم الحضارة الغـربية المـزعومة. مـن خـلال الـترويج لمفاهيم خاطئة، ومناقضة للـسنن الإلهـية. كالدعاية لمفهوم القـرية الكونية وإلغاء الخصوصية مـستخدمة فـي ذلك جميع وسائل القـوة والإغراء في فرض السيادة علـى العـالم، من أجل إذابة جميع القـيم الدينية الأصيلة، واستبدالهـا بمذاهب وأفكار وعادات وتقـاليد من صنـع العـولمة لكـي تخدم مصالحها الخاصة [٤٠]

٢- فرض الهيمنة وهو من أهم أهداف العولمة: بمعنى فرض هيمنة الدول الكبرى وسيطرتها على جميع المجـالات لـصالح فئة قليلة تمتلك المال والقوة وتسيطر على مقدرات العالم، وتفرض قراراتها على الدول والـشعوب وخصوصاً شعوب العالم الـثالث. مـستخدمة في ذلك فرض العقـوبات علـى كـل مـن يحاول الخروج عن الإطار الذي تحدده تلك الـدول الراعية لنظام العولمة، وقد قامـت بالفعـل الـولايات المتحدة الأمريكية بتحقيق الكثير من أهداف الهيمـنة علـى دول العـالم الثالث سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً. مـستعينة فـي ذلـك بـتطورها التكنولوجي، وشـركاتها العابـرة للقارات ومفكريها ووسائل إعلامها الطاغـي على جميع وسائل الإعلام الدولـي ، وأيـضاً من خلال فرض شـروط نمطية وإجبارية على العالم

---

(٤٠) الإسلام في عصر العولمة ص٢٧ ــ د / محمود زقزوق، ومؤتمر دار العلوم جامعـة القاهـرة، المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية المنعقد سنة ١٩٩٩م.

مثل نظام الخصخصة على الشركات المملوكة للدول، وتحرير التجارة الخارجية (٤١)

٣- رفع الحواجز الجمركية وإلغاء كافة القيود على الثقافات الغربية، وإطلاق حرية الأجانب في التملك، وإلغاء الدعم عن الفقراء، وترك المسئولية للأفراد يفعلون ما يشاءون. ومن هنا كان نظام العولمة حسب قول بعض العلماء المعاصرين: بمثابة القوة الطاردة المركزية التي تحاول اقتلاع الإنسان من جذوره، ومن تربته ليتخلل النسيج الاجتماعي بسببه (٤٢)

ومن الإنصاف والحكمة أن نقول : إنها حسب هذا الهدف نظام لا يعترف بالصالح العام بل يعترف بمصالحه هو فقط. وقد نجحت بالفعل في تفكيك الاتحاد السوفيتي، والقضاء على أكبر قوة عسكرية واقتصادية وثقافية في دول العالم العربي وهي (العراق) كما تحاول

(٤١) انظر كتاب القيم الدينية وثقافة العولمة ص٩٧ ـ مرجع سابق ـ بتصرف.

(٤٢) القيم الدينية وثقافة العولمة ص / ٩٨ ـ ٩٩ ـ مرجع سابق. بتصرف.

الآن بكل ما أوتيت من قوة إضعاف القوة الدينية والسياسية عن طريق إشعال نار الفتنة الطائفية، والإدعاء بحماية الأقليات من الاضطهاد الديني المزعوم، والزعم بالمحافظة على حقوق الإنسان، والمطالبة بحقوق المرأة وغيرها من الدعاوي الباطلة(٤٣)

١- المطالبة بتوفير الحرية المطلقة: فقد فتحت العولمة الباب على مصراعيه للحرية المطلقة في كل شيء فيما عدا ما يمس قوتها وسياستها، دون اعتبار لأية قيم أومبادئ أخلاقية، فقد أطلقت الحرية أمام الشواذ أخلاقياً. فأصبح حقاً للمتماثلين جنسياً في الزواج والطلاق، والتبني والإرشاد، وأصبح يمارس هذا الانحطاط الخلقي على الملأ دون أي حرج بل أصبحت الدول التي تقف من هذا موقف المعارض دولاً متخلفة محرومة من الحريات الشخصية كما أطلقت الحرية أمام الشباب أن يفعل ما يريد.

٢- المطالبة بحقوق المرأة: فقد انتشرت مؤخراً دعاوي تطالب

(٤٣) العروبة في مقابل العولمة ص٣٣ ـ ٣٤ د/ ناصر الأنصاري ـ بتصرف.

بحقوق المرأة في بعض الدول الإسلامية المطالبة بالحرية المطلقة في زيها وعلاقتها مع الآخر ونوع تعليمها وعملها وسفرها، وكأن المرأة في الإسلام مقهورة أو لم تنل حقوقها كما يزعم دعاة عولمة المرأة في العصر الحديث، ولنا أن نتساءل. أليست المرأة في الإسلام حرة في نفسها، إلا تزوج إذا بإذنها ورضاها، أليست المرأة لها ذمتها المالية المستقلة وهي حرة في ذلك، ولها حرية البيع والشراء بمالها الخاص إن هذه الحرية التي يروج لها دعاة العولمة للمرأة بحجة المحافظة على حقوقها الهدف منها في الحقيقة هو : إثارة تمرد المرأة المسلمة وجعلها وسيلة خطيرة من وسائل تفتيت شمل المجتمع المسلم، لأنهم يعرفون أن المرأة نصف المجتمع عندما يتمرد هذا النصف منه، يصبح المجتمع قلقاً ومضطرباً وليس فيه أي استقرار. كما تهدف هذه الحرية المزعومة من جانب دعاة العولمة إلى شغل المرأة المسلمة عن دورها الأساسي وهو التربية الأسرية، الحفاظ على الأسرة التي هي الخلية الأولى في بناء المجتمع.

٣- كذلك من أهداف العولمة الخطيرة : العمل على تعطيل الكثير من الأحكام الشرعية التي أقرتها الأديان السماوية المنزلة، وذلك من مثل محاولة إلغاء عقوبة الإعدام، وتعطيل إقامة الحدود: كحد القصاص، وحد السرقة، وحد الزنا وغيرها من الحدود التي شرعت لتأمين المجتمع وصيانته من المنحرفين. هذا على الرغم من اتفاق جميع الشرائع الإلهية على احترام تلك الحدود والعمل على تنفيذها بشروطها المقررة شرعاً(٤٤) وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ (٤٥)﴾

أساليب العولمة في تحقيق أهدافها:

وقد اتخذت العولمة عدة أساليب وطرق لفرض مبادئها وتحقيق

(٤٤) القيم الدينية وثقافة العولمة ص ١٠٠ ـ مرجع سابق ـ بتصرف.

(٤٥) سورة المائدة / ٤٥.

أهدافها على العالم تتمثل تلك الأساليب فيما يلي:

١ – الحرب النفسية: ويتحقق ذلك من خلال الإدعاء بأن العولمة هي المنقذ والمخلص الوحيد للعالم من حالات الفقر والتخلف الفكري والمادي والسياسي والعسكري والثقافي والاقتصادي والديني، كما تصور لباقي دول العالم بأنهم أصحاب ديانة جديدة. كما ذهب إلى ذلك ((توماس فريدمان)): الذي حير العالم بين الإحساس بالانتماء وبين السعي نحو التقدم في ظل العولمة قائلاً : ((فالانخراط في مسارات العولمة والسوق العالمية بأي ثمن هو الطريق الوحيد للتقدم والازدهار بينما الاحتفاظ بالهوية، والانتماء للجذور والديانة هو الطريق إلى التخلف والاندثار [٤٦] وهذه المزاعم الأوروبية هي نفسها الحرب النفسية التي يتبناها دعاة العولمة في الغرب.

٢ – تجنيد بعض المفكرين والكتاب في مختلف دول العالم: للترويج لهذه الثقافة الأوروبية مستغلين هؤلاء في إقناع الإنسان المعاصر بأن الشعور بالولاء للأمة المسلمة الواحدة، والتراث الإسلامي العريق: أصبح في زعمهم من مخلفات الماضي، وقد نجح الغرب للأسف في تسخير بعض أقلام الكتاب والمفكرين في تشويه أصول الثقافة والقيم الدينية. مستهدفين أهم مصادرها المتمثلة في القرآن والسنة النبوية الشريفة. لأنهم أيقنوا تماماً أن سر نهضتنا نحن المسلمين كما يقول بعض العلماء أيقنوا أن هذا التقدم وتلك النهضة تكمن في تعاليم ديننا، وأن الإسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا، وانطلاقنا في الحياة ولهذا أجمعوا أمرهم، ودبروا كيدهم في محاولات فاشلة لهدم بنياننا، وبهذا يحاربوننا في أنفسنا بمحاولة تضييع الدين من حياتنا، وتنفيرنا منه، وبعدنا عنه والعياذ بالله تعالى [٤٧]

(٤٦) انظر كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة ص/٢٣ ــ المؤتمر الرابع للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ــ بحث مقدم من د / مصطفى حلمي سنة ١٩٩٩م.

(٤٧) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الاستعمار ص /١٧ محمود محمد الصواف.

٣- محاولة إقناع أبناء الأمة العربية والإسلامية بأنها أمة متخلفة في جوهرها وتاريخها وصميم تكوينها، ومن ثم فلابد من انسلاخها تماماً عن كل ما يربطها بماضيها، وعن كل ما يميز ذاتها وهويتها، وإعادة تشكيل المجتمع من الطراز الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية الخاطئة، مع إبقائه متخلفاً عاجزاً عن معرفة سر صناعات الغرب، عاجزاً عن اكتساب المعرفة الحقيقية التي يعرفها الغرب [٤٨]

٤- عزل أبناء الأمة الإسلامية عن قيمها وثقافتها الأصيلة، وهي قيم وثقافة الإسلام مما تسبب في وجود فراغ فكري، وانحطاط أخلاقي، ثم سيطرة فكر الجمود والتواكل والخرافة لتحل محل الفكر الديني الأصيل، وذلك بتوجيه الثقافة المعاصرة من قبل المؤسسات التنصيرية والاستشراقية والاستعمارية، والتي تعد مأساة تاريخية كبرى على العالم الإسلامي، كما حاولت إحلال الثقافة المادية محل [illegible] لإسلامية [٤٩] إلى غير ذلك من الأساليب الماكرة، والمخططات الخبيثة لخدمة الاتجاه العولمي الأوروبي.

(٤٨) المرجع السابق.

(٤٩)انظر المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري ص ١٤٠ ــ د / محمد عبدالحميد ــ من كتاب الأمة القطرية

المبحث الرابع
أخطار العولمة وأضرارها

لقد بات من الواضح الآن ما تريد أن تلحقه العولمة كما يريدها الغرب من أخطار جسيمة، وعواقب وخيمة، وآثار سيئة على العالم بأسره في شتى مجالات الحياة، ولهذا فإن العالم كله الآن يتوجس خيفة من أخطارها لأنها تحاول تمزيق الهوية الثقافية لمعظم شعوب الأرض، وتعد بثقافة مادية موحدة موسومة بطابع الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة، ومن ثم تعمل جاهدة على إلزام المسلمين خاصة بالتنازل عن خصوصياتهم الثقافية وصولاً إلى الاقتراب من المفاهيم والمعايير اللا أخلاقية واللادينية التي تسعى العولمة لتحقيقها، وإلا فسوف ينبذون ويهمشون من جانب الدول المروجة لها (٥٠)

ومن الواضح أيضاً أن العولمة في إطارها المادي السلبي تعمل على اختراق الهويات المختلفة ليس عن طريق ليّ الذراع أو إشعار نار الحروب فقط فهذا الأسلوب لم يعد حضارياً بمفرده ـ وإنما تعمد إلى بث المفاهيم الخاطئة عن الدين والسياسة الثقافة والاقتصاد والتربية الاجتماع فتهمشها ثم تبذر محلها مفاهيم اقتصادية مادية، وقد أصاب المسلمين قسط كبير من هذه المفاهيم بسبب الهجمة الشرسة للعولمة. حتى اللغة العربية نفسها، والتي سودنا في بيان مآثرها ألوف الصفحات أضحت كالذبيح أو كالضحية بين سائر اللغات كاللغة الأوروبية مثلاً بوصفها لغة العلم والحضارة والعولمة واللهجات العامية بوصفها رمزاً للانخلاع والتجرد من الانتماء الأرحب للأمة المسلمة (٥١)

ومن هنا كانت العولمة وثقافتها على هذه الصورة لها من السلبيات والمخاطر على الشعوب الكثير والكثير ، ونظراً لخطورة هذه العولمة على الثقافة والأخلاق خاصة كان من الضروري أن نتحدث في هذا الإطار، وهذا ما سوف أعرض له على النحو التالي:

---

(٥٠) انظر العولمة ـ طبيعتها ـ وسائلها ـ تحدياتها ـ التعامل معها ص٦٨ ـ د / عبدالكريم بكار. مرجع سابق. بتصرف.

(٥١) مرجع سابق ص /٦٩ ـ بتصرف.

أولاً: خطر العولمة على الثقا

لعل من أشد ألوان العولمة خطراً، وأبعدها أثراً على العالم هو العولمة الثقافية فمن الخطورة بمكان أن تفرض ثقافة أمة على سائر الأمم، أو تفرض ثقافة الأمة الغالبة على الأمم الضعيفة، وهذا هو كل ما تسعى إليه أمريكا حيث تعمل على فرض الثقافة الأمريكية على العالم كله: شرقيه وغربيه، مسلمه ونصرانيه متوحده ووثنيه، ووسيلتها إلى تحقيق هذا الغرض: الأدوات والآليات الجبارة عابرة القارات والمحيطات من أجهزة الإعلام والتأثير بالكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية، بالصوت والصورة والبث المباشر، وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) وغيرها مما نشاهده الآن على الساحة الدولية. هذا ما لا يجوز لنا أن نقبله نحن المسلمين على علاته ولا أن نقف أمامه مكتوفي الأيدي، ولا نفتح له آذاننا وأعيننا وقلوبنا (٥٢) بل يجب علينا أن ننكره ونرفضه ونغض الطرف عنه إلا ما كان فيه فائدة ونفع طوع إرادتنا، وما يتواءم مع عقيدتنا وقيمنا وثوابتنا الإسلامية، ومصالحنا الدينية والدنيوية.

تريد العولمة الثقافية في أوروبا أن تشيع في المسلمين ثقافة الاستهلاك لما تنتجه الرأسمالية الغربية الأمريكية مما يؤكل ويشرب ويلبس ويركب تريد أن تسود الإباحية المطلقة التي تحل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، تبيح من المنكرات ما تنكره كل الشرائع الإلهية المنزلة(٥٣)

وأعتقد أن هويتنا الثقافية معرضة لعدة أخطار من عاديات العولمة بسبب عاملين رئيسيين هما:

الأول: ويتمثل في هذا الفارق الكبير بين مسلماتنا الثقافية، وبين المسلمات التي تحاول العولمة نشرها. فكم يكون الفرق بين ثقافة ترى في الدنيا دار ممر وعبور وسعي من أجل الآخرة، وثقافة ترى فيها فرصة للنيل من الشهوات

---

(٥٢)انظر ـ المسلمون والعولمة ص٤٦ ـ د / يوسف القرضاوي. بتصرف.

(٥٣) المرجع السابق ص٤٧ ـ بتصرف ، وانظر ظاهرة العولمة. رؤية نقدية ص /١٣٥-١٣٨. د / بركات محمد مراد ـ مرجع سابق ـ

أولاً: خطر العولمة على الثقا

لعل من أشد ألوان العولمة خطراً، وأبعدها أثراً على العالم هو العولمة الثقافية فمن الخطورة بمكان أن تفرض ثقافة أمة على سائر الأمم، أو تفرض ثقافة الأمة الغالبة على الأمم الضعيفة، وهذا هو كل ما تسعى إليه أمريكا حيث تعمل على فرض الثقافة الأمريكية على العالم كله: شرقيه وغربيه، مسلمه ونصرانيه متوحده ووثنيه، ووسيلتها إلى تحقيق هذا الغرض: الأدوات والآليات الجبارة عابرة القارات والمحيطات من أجهزة الإعلام والتأثير بالكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية، بالصوت والصورة والبث المباشر، وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) وغيرها مما نشاهده الآن على الساحة الدولية. هذا ما لا يجوز لنا أن نقبله نحن المسلمين على علاته ولا أن نقف أمامه مكتوفي الأيدي، ولا نفتح له آذاننا وأعيننا وقلوبنا بل يجب علينا أن ننكره ونرفضه(٥٢) ونغض الطرف عنه إلا ما كان فيه فائدة ونفع طوع إرادتنا، وما يتواءم مع عقيدتنا وقيمنا وثوابتنا الإسلامية، ومصالحنا الدينية والدنيوية.

تريد العولمة الثقافية في أوروبا أن تشيع في المسلمين ثقافة الاستهلاك لما تنتجه الرأسمالية الغربية الأمريكية مما يؤكل ويشرب ويلبس ويركب تريد أن تسود الإباحية المطلقة التي تحل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، تبيح من المنكرات ما تنكره كل الشرائع الإلهية المنزلة(٥٣)

وأعتقد أن هويتنا الثقافية معرضة لعدة أخطار من عاديات العولمة بسبب عاملين رئيسيين هما:

الأول: ويتمثل في هذا الفارق الكبير بين مسلماتنا الثقافية، وبين المسلمات التي تحاول العولمة نشرها. فكم يكون الفرق بين ثقافة ترى في الدنيا دار ممر وعبور وسعي من أجل الآخرة، وثقافة ترى فيها فرصة للنيل من الشهوات

(٥٢) أنظر ـ المسلمون والعولمة ص٤٦ ـ د / يوسف القرضاوي. بتصرف.

(٥٣) المرجع السابق ص٤٧ ـ بتصرف ، وانظر ظاهرة العولمة. رؤية نقدية ص ١٣٥-١٣٨/. د / بركات محمد مراد ـ مرجع سابق ـ

والملذات، ولا تعترف بالدار الآخرة ولا تحسب لها أي حساب ؟! وكم يكون الفرق بين ثقافة تحظر على المرأة إبداء شيء من جسدها للرجال الأجانب عنها، وبين ثقافة أو ثقافات تستحب للفتاة بل وتوسوس لها أن تعاشر الرجال الأجانب عنها معاشرة الأزواج؟ كما هو الشأن في كثير من البلاد الغربية التي تصدر العولمة، وكم يكون الفارق بين ثقافة تحرم قليل الخمر وكثيره، وبين ثقافة يشرب أهلها الخمر أكثر من شربهم للماء (٥٤)

الثاني: ويتضح في تباين موقف المفكرين في العالم الإسلامي من العولمة حيث يرى البعض منهم في العولمة الفرصة المهيئة للخلاص من التقاليد البالية، والأيديوجيات ذات الرؤى الشمولية المطلقة ـ على حين يرى البعض الآخر أنها الخطر الذي يتهدد العالم كله في العصر الحديث، وهذا التباين أو الاختلاف حول موقف العلماء من تلك القضية لم ينشأ في الحقيقة بسبب العولمة، وإنما بسبب الغزو الثقافي الذي تعرضت له الأمة من قبل قرنين من الزمان على الأقل، فهنا التباين في تقويم العولمة سوف يشتت جهودنا في مقاومتها والتعامل معها (٥٥)

العولمة وخطرها على العقل:

تكمن خطورة العولمة الثقافية في تأثيرها على عقل الإنسان المعاصر، ومحاولة تغريب الإنسان، وعزله عن قضاياه، وإدخال الضعف لديه، والتشكيك في معظم قناعاته الدينية والثقافية، وذلك بهدف إخضاعه نهائياً للقوى المسيطرة على العالم، وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائياً إلى دافع الإحباط فيقبل بالخضوع لها عن طواعيه.

ومما يزيد من الخوف من مخاطر العولمة ما صرح به أحد فلاسفة العولمة الغربيين من أمثال (سارتر) الذي صرح به في قوله عن موقفه من دول العالم الثالث. كنا نضع في أعماق قلوب مقتضى العالم الثالث الرغبة في تحويل بلادهم إلى أوروبا حيث يرددون ما نقوله بالحرف الواحد تماماً مثل

(٥٤) انظر . العولمة وكيفية التعامل معها ص ٦٩ ـ د / عبدالكريم بكار ـ مرجع سابق.

(٥٥) السابق ص ٧١. بتصرف.

والملذات، ولا تعترف بالدار الآخرة ولا تحسب لها أي حساب ؟! وكم يكون الفرق بين ثقافة تحظر على المرأة إبداء شيء من جسدها للرجال الأجانب عنها، وبين ثقافة أو ثقافات تستحب للفتاة بل وتوسوس لها أن تعاشر الرجال الأجانب عنها معاشرة الأزواج؟ كما هو الشأن في كثير من البلاد الغربية التي تصدر العولمة، وكم يكون الفارق بين ثقافة تحرم قليل الخمر وكثيره، وبين ثقافة يشرب أهلها الخمر أكثر من شربهم للماء (٥٤)

الثاني: ويتضح في تباين موقف المفكرين في العالم الإسلامي من العولمة حيث يرى البعض منهم في العولمة الفرصة المهيئة للخلاص من التقاليد البالية، والأيديوجيات ذات الرؤى الشمولية المطلقة — على حين يرى البعض الآخر أنها الخطر الذي يتهدد العالم كله في العصر الحديث، وهذا التباين أو الاختلاف حول موقف العلماء من تلك القضية لم ينشأ في الحقيقة بسبب العولمة، وإنما بسبب الغزو الثقافي الذي تعرضت له الأمة من قبل قرنين من الزمان على الأقل، فهنا التباين في تقويم العولمة سوف يشتت جهودنا في مقاومتها والتعامل معها (٥٥)

العولمة وخطرها على العقل:

تكمن خطورة العولمة الثقافية في تأثيرها على عقل الإنسان المعاصر، ومحاولة تغريب الإنسان، وعزله عن قضاياه، وإدخال الضعف لديه، والتشكيك في معظم قناعاته الدينية والثقافية، وذلك بهدف إخضاعه نهائياً للقوى المسيطرة على العالم، وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائياً إلى دافع الإحباط فيقبل بالخضوع لها عن طواعيه.

ومما يزيد من الخوف من مخاطر العولمة ما صرح به أحد فلاسفة العولمة الغربيين من أمثال (سارتر) الذي صرح به في قوله عن موقفه من دول العالم الثالث. كنا نضع في أعماق قلوب مقتضى العالم الثالث الرغبة في تحويل بلادهم إلى أوروبا حيث يرددون ما نقوله بالحرف الواحد تماماً مثل

(٥٤) انظر . العولمة وكيفية التعامل معها ص ٦٩ — د / عبدالكريم بكار — مرجع سابق.

(٥٥) السابق ص ٧١. بتصرف.

الثقب الذي يتدفق منه الماء في الحوض، وهذه أصواتنا تخرج من أفواههم، وحينما كنا نصمت كانت ثقوب الأحواض هذه تصمت أيضاً، وحينما كنا نتحدث كنا نسمع انعكاسات صادقة وأمينة لأصواتنا من الحلوق التي ضيعناها وكنا واثقين أننا نحن الذين وضعناها في أفواههم (٥٦)

طغيان المادة على الروح:

مما لا شك فيه أن ظاهرة العولمة ما كانت تقوم وتطغى على العالم أجمع إلا بعد انحرافها عن الفطرة السوية التي فطر الله تعالى عليها الإنسان، وإلا بطغيان الجانب المادي فيها على الجانب الروحي مما جعل لكل مجالات ونظم العولمة ما هي إلا إفراز أو نتائج للمنفعة، وإشباع اللذات المادية والجسدية متناسية أو متجاهلة الجانب الروحي للإنسان الذي كرمه الله وفضله على سائر المخلوقات تفضيلاً. فالعولمة لكونها قامت على هذا البناء الواهي. أدت إلى انعدام التوازن بين احتياجات هذا الإنسان. ومعلوم لدى العقلاء والمنصفين أن الإنسان ليس إنساناً بجسده فقط، ولا بروحه فقط وإنما هو مزيج من المادة والروح معاً، والمادة والروح ليستا فقط قلب وعقل وعواطف وجوارح الإنسان بل هما أساس وبناء كل مدنية صالحة، وحضارة مثالية. لا يمكن أن تقوم حضارة مثالية حقيقية إلا إذا قامت على عقيدة وخلق ديني إلهي يمكن للإنسان من خلالها أن يبلغ كماله الإنساني، وقد أثبتت التجربة أنه لا يتحقق ذلك إلا لمن يؤمنون بالله تعالى، والتوافق بين الروح والمادة معاً (٥٧)

ثانياً: خطر العولمة على الأخلاق:

إن التأثير السلبي والخطير لأنظمة العولمة الثقافية لا يصيب فقط إنسان العالم الثالث بل يتعدى خطره حتى على أصحابها الذين تولوا إثم اتباعها، ولقد أدى النظام

(٥٦) انظر — العولمة وموقف الإسلام منها ص٥٧ د / عبدالفتاح الصاوي.

(٥٧) العولمة والطريق الثالث ص٢٩ — السيد ياسين — مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩ م. نقلاً عن كتاب. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٢٨ — ١٣٠. أبو الحسن الندوي — دار العلم بالكويت ط١٣ سنة ١٩٨٢م . بتصرف.

الاقتصادي الذي طبقته مؤسسات العولمة. إلى الارتفاع الهائل في قيمة الفوائد والعائدات للأموال المحرمة بنحو (١٥٠٠) ألف وخمسمائة مليار دولار أمريكي في العالم يجرى غسيلها شفوياً. كما ارتفعت نسبة عائدات الأموال التي تأتي عن طريق استغلال النساء في أعمال محرمة التي ساعدت في التكنولوجيا الحديثة على تسهيلها، ولك أن تتخيل أن تربح هذه الممارسات المحرمة والتي أدت إلى فساد القيم الخلقية ما يقدر بنحو سبعون مليارات من الدولار سنوياً.

كما ساعد احتكار الولايات المتحدة لـ ٧٠ % من الأفلام والبرامج اللاأخلاقية على انتشار الرذيلة في المجتمعات (٥٨).

وقد أدى التقدم العلمي الهائل في التقنية الحديثة إلى زيادة حجم ارتكاب الرذائل، ومضاعفة نسبة اقتراف الجريمة وتنوعها وكثرة أساليبها — ليس في دول العالم الثالث فقط بل في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها صاحبة القرار في العالم، ومما يؤكد ذلك ما نشره (رمزي كلارك) النائب العام الاتحادي في أمريكا من الإعلان عن إحصائية ارتكاب بعض الجرائم في بلاده في عام واحد فقط بسبب العولمة فجاءت البيانات على النحو التالي:

وقوع جريمة قتل كل (٤٣) دقيقة، وجريمة اغتصاب امرأة كل (١٩) دقيقة، وجريمة سرقة كل دقيقة واحدة، وجريمة سطو على المنازل كل (٢٠) ثانية وسرقة سيارات كل ٤٨ ثانية — وهكذا أصبح المجتمع الغربي يتجرع الآلام ويتعرض لوابل من الأخطار التي تركتها العولمة، وهكذا نجد من خلال هذا التقرير أن أكبر دولة في العالم، والتي تعتبر نفسها أعظم دولة متحضرة نجدها الآن في تيار العولمة تعجز عجزاً تاماً عن تكوين مجتمع خال من الجريمة، ومن أي لمسة أخلاقية (٥٩).

ويحق لي هنا أن أطرح هذا التساؤل فأقول:

(٥٨) مصر والعالم على أعتاب ألفية جديدة ص ١٥٠ — ١٥١ د / محمود عبدالفضيل.

(٥٩) الإسلام ومشكلات الفكر ص ٢٨ د / فتحي رضوان. سلسلة اقرأ ١٩٧٣م. دار المعارف المصرية — بتصرف.

إذا كان هذا هو الحال الذي آلت إليه أكبر دولة مصدرة للعولمة وهي أمريكا فماذا يكون حال الدول الفقيرة إذن، ولا سيما أنها هي المقصودة من وراء هذا المخطط العولمي؟؟؟

ونجيب بأنه على الرغم من محاولة تمسك المسلم المعاصر بقيمه الدينية الأصيلة إلا أنه في الحقيقة وأمام كل هذه الإغراءات والضغوط أصبح يستجيب لها، ويتورط في اقتراف الجريمة بكل أنواعها بسبب تيار العولمة الكاسح والمدمر لكل ما هو أخلاقي، وأصبح الإنسان المعاصر يتعاطى على مدار ٢٤ ساعة المخدرات الفكرية عن طريق وسائل الإعلام المختلفة بين مقروءة أو مسموعة أو مرئية مما جعله في حالة إدمان كلي لما يتعاطاه من أفكار خاطئة، وأمسى يرتكب العنف والقسوة ضد الآخر، وهو في حالة عدم الإحساس بما يفعله (٦٠)

كما نستطيع أن ندرك خطورة فشل نظام العولمة في تحقيق العدالة المزعومة وترسيخ القيم الأخلاقية بين المجتمعات من خلال تهميش ثقافة دول العالم الثالث واقتصاده. ويحدث ذلك في محاولة ماكرة لفرض الهيمنة على كل أنظمة الدول النامية، وأصبحت العولمة الأخلاقية كما يزعمها الغرب — مجرد شعارات تعلن يومياً في وسائل الإعلام عن العدالة والمساواة والقيم والديمقراطية والتسامح مع الآخر، ومحاربة الإرهاب — لكن الحقيقة — على خلاف ذلك كله ولعل السبب في وجود هذه المخاطر للعولمة أنها قامت على أساس رفع هذا الشعار المدمر لكل إصلاح أو تقدم في العالم وهو : سياسة بلا مبادئ، وتجارة بلا أخلاق،وتعليم بلا تربية، وعلم بلا ضمير ، وعبادة بلا تضحية ولهذا كانت النتيجة أننا ونحن في القرن الحادي والعشرين يوجد خمس سكان العالم من الأميين، وأربعة أخماس البشرية مهددة

(٦٠) الثقافة العربية وعصر العولمة ص ٤١ — د / نبيل علي — عالم المعرفة عدد يناير ٢٠٠١م . دولة الكويت . بتصرف.

بالبطالة [٦١] والفساد الخلقي الذي أدى إلى استباحة المحرمات من الإدمان واستحلال الرذيلة، والزواج العرفي، وانعدام العدالة والحرية المنضبطة، وانتشار التفكك الأسري..الخ [٦٢]

(٦١) الثقافة العربية وعصر العولمة ص ٤٠٢ ـ د / نبيل علي ـ مرجع سابق ـ بتصرف.

(٦٢) القيم الدينية وثقافة العولمة ص / ١٠٠ ـ ١٢٠ د / الصاوي الصاوي محمد . العدد ١٢١ـ قضايا إسلامية ـ وزارة الأوقاف ـ ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

المبحث الخامس

الموقف الإسلامي من العولمة

تمهيد : لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن " العولمة " وأضحى كل من يتابع هذا الأمر في معظم الكتابات والندوات والمؤتمرات يعيش في حيرة من أمره. حيث انقسم الناس في عصرنا الحاضر إزاء هذا الموضوع إلى ما بين مؤيد ومعارض دون وضع ضوابط أو قيود، ودون تحديد المبررات للتأييد أو المعارضة لهذا النظام، ومن ثم كان من الضروري أن نتعرض لهذه القضية المثارة على الساحة العالمية حتى يتبين للناس ما هو الموقف الإسلامي منها، وذلك في إطار المنهج العلمي السليم دونما تعصب أو إتباع الهوى خاصة وأننا لا نستطيع بادئ ذي بدء أن نقف منها موقف التأييد المطلق، أو المعارضة المطلقة، وإنما يجب أن نكون منصفين في حكمنا عليها في إطار المنهج الإسلامي بلا إفراط ولا تفريط فلا نقبلها مطلقاً ولا نرفضها مطلقاً، وهذا ما سوف نوضحه بالتفصيل كما يلي:

موقف الإسلام من العولمة:

انقسم الناس تجاه قضية العولمة إلى عدة مواقف، وذلك لأنها من أخطر التحديات التي يتعرض لها العالم في العصر الحديث، ومن ثم اختلفت آراء العلماء والباحثين المعنيين أو المهتمين بدراسة العولمة وأستطيع إيجاز تلك الآراء إلى ثلاثة مواقف كما يلي:

الموقف الأول: ويتمثل في التأييد المطلق والمجرد من كل قيد أو شرط، وهو موقف المندفع إلى العولمة، والمتحمس لها والسابح في تيارها ممن يتعاملون معها بلا تحفظ، وهذا الموقف يعبر عن موقف الغلاة من دعاة التغريب، ودعاة التطبيع في عالمنا العربي والإسلامي [٦٣].

الموقف الثاني: وهو على العكس تماماً من الأول، ويتمثل الرفض المطلق لنظام العولمة، وأصحاب هذا الرأي يهربون من المواجهة، ويلوذون بالصومعة، وينكفئون على الذات في عزلة وتقوقع وغيبة عما يدور به الفلك من حولهم في دنيا الفكر والاقتصاد والسياسة وغيرها [٦٤]. مغمضين الطرف عن كل تقدم أو تطور يؤدي إلى خير الإنسانية، وهذا في الحقيقة هو موقف كثير من الخائفين من اللقاء مع الآخرين. من المتمسكين بكل قديم، والرافضين لكل جديد.

الموقف الثالث: وهو الموقف الذي يقوم على الوسطية التي قام عليها الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً. كما قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [٦٥] وهو أيضاً الموقف المقبول الذي يمثل المنهج الوسط لهذه الأمة المسلمة: إنه موقف المؤمنين القوى البصير، المنفتح المعتز بهويته، الواعي لرسالته، المتمسك بأصالته، المؤمن بعالميته، الملتزم بثقافته وحضارة أمته، الذي لا يفر من المواجهة، ولا يرفض الحوار بل ينطلق من الأفق الواسع، ويقف على الأرض الصلبة، ويحترم الواقعية ويؤمن بالتطور المفيد،

(٦٣) المسلمون والعولمة ص ١٣٢ ـ د / يوسف القرضاوي ـ مرجع سابق . بتصرف.

(٦٤) المرجع السابق ـ بتصرف.

(٦٥) سورة البقرة / ١٤٣

موقف الإسلام من العولمة:

انقسم الناس تجاه قضية العولمة إلى عدة مواقف، وذلك لأنها من أخطر التحديات التي يتعرض لها العالم في العصر الحديث، ومن ثم اختلفت آراء العلماء والباحثين المعنيين أو المهتمين بدراسة العولمة وأستطيع إيجاز تلك الآراء إلى ثلاثة مواقف كما يلي:

الموقف الأول: ويتمثل في التأييد المطلق والمجرد من كل قيد أو شرط، وهو موقف المندفع إلى العولمة، والمتحمس لها والسابح في تيارها ممن يتعاملون معها بلا تحفظ، وهذا الموقف يعبر عن موقف الغلاة من دعاة التغريب، ودعاة التطبيع في عالمنا العربي والإسلامي (٦٣).

الموقف الثاني: وهو على العكس تماماً من الأول، ويتمثل الرفض المطلق لنظام العولمة، وأصحاب هذا الرأي يهربون من المواجهة، ويلوذون بالصومعة، وينكفئون على الذات في عزلة وتقوقع وغيبة عما يدور به الفلك من حولهم في دنيا الفكر والاقتصاد والسياسة وغيرها (٦٤). مغمضين الطرف عن كل تقدم أو تطور يؤدي إلى خير الإنسانية، وهذا في الحقيقة هو موقف كثير من الخائفين من اللقاء مع الآخرين. من المتمسكين بكل قديم، والرافضين لكل جديد.

الموقف الثالث: وهو الموقف الذي يقوم على الوسطية التي قام عليها الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً. كما قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (٦٥) وهو أيضاً الموقف المقبول الذي يمثل المنهج الوسط لهذه الأمة المسلمة: إنه موقف المؤمنين القوى البصير، المنفتح المعتز بهويته، الواعي لرسالته، المتمسك بأصالته، المؤمن بعالميته، الملتزم بثقافته وحضارة أمته، الذي لا يفر من المواجهة، ولا يرفض الحوار بل ينطلق من الأفق الواسع، ويقف على الأرض الصلبة، ويحترم الواقعية ويؤمن بالتطور المفيد،

(٦٣) المسلمون والعولمة ص ١٣٢ ـ د / يوسف القرضاوي ـ مرجع سابق . بتصرف.

(٦٤) المرجع السابق ـ بتصرف.

(٦٥) سورة البقرة / ١٤٣

فيأخذ ويعطي، ولا يفرط في خصائصه الذاتية، ولا في مقوماته الأساسية (٦٦).

في الواقع أننا لا نملك الفرار من هذه العولمة لأنها أصبحت قدراً مفروضاً علينا في هذه المرحلة التي يمر بها عالمنا الإسلامي، ومن ثم فليس في استطاعتنا الرفض المطلق، ولا التأييد المطلق، كما أنه لا ينبغي لنا أن نتقبلها كما وردت إلينا من الغرب كما هي ، لا نستسلم من هذا الغزو الجديد بالتماسك والتناصر والمواجهة المستنيرة الواعية، ولابد من توعية المجتمع الإسلامي كله وتحصينه عقائدياً وفكرياً واجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً واقتصادياً حتى لا ينساق المسلمون وراء هذه الهجمة الجديدة الشرسة.

إذن فالموقف الإسلامي من العولمة: هو الموقف الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط فلا يقبلها على علاتها بإطلاق ، ولا يرفضها على علاتها بإطلاق. وإنما نستفيد نحن المسلمين من إيجابيات العولمة في مبادئها العلمية والتكنولوجية، وأن نأخذ خير ما فيها، وأن ندع سلبياتها المادية والمعنوية (٦٧) وكل ما يضر بثوابتنا الإسلامية، وقيمنا الأخلاقية. متحصنين مع ذلك بإسلامنا عاملين بكل ما نستطيع لتطوير قدراتنا، وتحسين إمكاناتنا حتى يكون يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا، وتكون أمتنا دائماً خير الأمم كما أرادها الله تعالى.

المسلمون واستثمار العولمة الإيجابية:

إن العولمة لكي نكون منصفين ليست شراً كلها، وإن كان البعض لا يرى فيها إلا الجانب المظلم وهو موجود، ومعرفته ضرورية ليتسنى لنا كيفية التعامل الرشيد معه، ومع ذلك فقد فتحت في نفس الوقت آفاقاً إيجابية، وميادين التنافس العلمي والتقني بين معظم دول العالم ـ ويسرت وسائل الوصول إلى الآخر، وقدمت فرصاً وإمكانات عديدة سوف تخرج العديد من الأمم الراكدة

(٦٦) المسلمون والعولمة ص / ١٣٢ ـ مرجع سابق ـ بتصرف.

(٦٧) السابق ص ١٣٣ ـ بتصرف ، وانظر أيضاً كتاب العولمة مقاومة واستثمار ص ٤٢٦ ـ د / إبراهيم الناصر ـ كتاب مجلة البيان ـ طبعة سنة ١٤٢٦ هـ. الرياض ـ السعودية.

فسيأخذ ويعطي، ولا يفرط في خصائصه الذاتية، ولا في مقوماته الأساسية (٦٦).

في الواقع أننا لا نملك الفرار من هذه العولمة لأنها أصبحت قدراً مفروضاً علينا في هذه المرحلة التي يمر بها عالمنا الإسلامي، ومن ثم فليس في استطاعتنا الرفض المطلق، ولا التأييد المطلق، كما أنه لا ينبغي لنا أن نتقبلها كما وردت إلينا من الغرب كما هي ، لا نستسلم من هذا الغزو الجديد بالتماسك والتناصر والمواجهة المستنيرة الواعية، ولابد من توعية المجتمع الإسلامي كله وتحصينه عقائدياً وفكرياً واجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً واقتصادياً حتى لا ينساق المسلمون وراء هذه الهجمة الجديدة الشرسة.

إذن فالموقف الإسلامي من العولمة: هو الموقف الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط فلا يقبلها على علاتها بإطلاق ، ولا يرفضها على علاتها بإطلاق. وإنما نستفيد نحن المسلمين من إيجابيات العولمة في مبادئها العلمية والتكنولوجية، وأن نأخذ خير ما فيها، وأن ندع سلبياتها المادية والمعنوية (٦٧)، وكل ما يضر بثوابتنا الإسلامية، وقيمنا الأخلاقية. متحصنين مع ذلك بإسلامنا عاملين بكل ما نستطيع لتطوير قدراتنا، وتحسين إمكاناتنا حتى يكون يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا، وتكون أمتنا دائماً خير الأمم كما أرادها الله تعالى.

المسلمون واستثمار العولمة الإيجابية:

إن العولمة لكي نكون منصفين ليست شراً كلها، وإن كان البعض لا يرى فيها إلا الجانب المظلم وهو موجود، ومعرفته ضرورية ليتسنى لنا كيفية التعامل الرشيد معه، ومع ذلك فقد فتحت في نفس الوقت آفاقاً إيجابية، وميادين التنافس العلمي والتقني بين معظم دول العالم – ويسرت وسائل الوصول إلى الآخر، وقدمت فرصاً وإمكانات عديدة سوف تخرج العديد من الأمم الراكدة

(٦٦) المسلمون والعولمة ص / ١٣٢ – مرجع سابق – بتصرف.

(٦٧) السابق ص١٣٣ – بتصرف، وانظر أيضاً كتاب العولمة مقاومة واستثمار ص ٤٢٦ – د / إبراهيم الناصر – كتاب مجلة البيان – طبعة سنة ١٤٢٦ هـ. الرياض – السعودية.

من رقدتها، لكي تمكنها من الاستجابة للتحدي والنهوض (٦٨)،

وإذا كانت العولمة قد فرضت نفسها وأصبحت واقعاً لا محيص عنه في عالمنا المعاصر. فهل هناك من موقف للمسلمين سوى رفضها أو قبولها. ليس هناك طريق ثالث ورابع للاستفادة من إيجابياتها وتجنب سلبياتها ؟ وإعداد النفس للتعايش معها، والإندماج مع آلياتها في إطار القيم الإسلامية، وبما يتناسب مع الواقع العالمي المتنافس في تطوره وتغيره؟؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات أقول:

استثمار آليات العولمة الإيجابية في الدعوة إلى الإسلام:

كما أن للعولمة أخطارها وأضرارها التي تحدثت عنها من قبل . فإنه من الإنصاف أن نقرر في نفس الوقت وجود بعض الإيجابيات والمكاسب التي يمكن أن تقوم بدور فاعل في تقدم المجتمع، وتساعد على نشر الإسلام بصورة عالمية. في إطار القيم والسلوكيات والمناهج الإسلامية.

فالموقف العقلاني الرشيد ليس فقط في مقاومة العولمة، وإنما أضيف إلى ذلك ما ينبغي أن يكون عليه موقفنا من استثمار الفرص المتاحة لاستخدام آليات العولمة بما يخدم المسلمين، ويحافظ على هويتهم، ويبرز موقفهم، يحمي كيانهم، ويصحح أوضاعهم خاصة أن العولمة أصبحت مدعومة بالتزامات دولية، ودعم قانوني عالمي، وهذا ما سوف أعرض له في المجالات التالية:

أولاً : في مجال الإعلام والاتصالات:

على المسلمين في هذا العصر سرعة الاستفادة من آليات العولمة الجبارة من القنوات الفضائية، والبث المباشر، والإذاعات الموجهة وشبكة الانترنت وغيرها من الأدوات المعاصرة والمتطورة على الدوام، وعليهم ألا يتجاهلوا استخدام تلك الوسائل الحديثة في استثمارها لإبلاغ العالم من حولنا رسالتنا العالمية (رسالة الإسلام) من ينابيعها الصافية نقية بلا تلويث

(٦٨) العولمة رؤية نقدية ص٤٥-٤٦. بركات محمد مراد – مرجع سابق – بتصرف.

خالصة بلا تحريف ولا تزييف، مكتملة بلا تجزئة.

في اعتقادي أننا نحن المسلمين نملك بمفردنا في خضم المذاهب والفلسفات والتيارات التي تزحم العالم – الرسالة العالمية المتوازنة التي تحمل للبشرية كلها – المنهج الرباني، والعلاج الشافي لما تعانيه من أمراض نفسية، واجتماعية وخلقية، وتنقذ البشرية كذلك مما أصابها من سعار المادية وداء الإباحية، وخطر النفعية واللاأخلاقية، وهذا ما يستوجب على كل الهيئات والمؤسسات والجماعات العلمية والفكرية والدعوية: أن تتعاون فيما فيها لتقديم الإسلام بلسان العصر إلى العالم حتى تثبت عالمية الدعوة الإسلامية حقاً في ل أرجاء المعمورة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً {١}﴾ (٦٩) وقوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (٧٠) وقوله سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ{١٠٧}﴾ (٧١)

وبذلك نستطيع أن نؤدي حق الأمانة التي كلفنا الله بحملها وتبليغها إلى العالم، ونقيم الحجة على من بلغته الدعوة بلوغاً مفهوماً واضحاً يحمل على العالم، ونقيم الحجة على من بلغته الدعوة بلوغاً مفهوماً واضحاً يحمل على النظر، ويدعو إلى البحث والتفكير، وليس بلوغاً مشوهاً ينفر من الدعوة كما يحدث من بعض أدعياء الدعوة في هذا العصر.

وإذا كان الإسلام رسالة عالمية حقاً كما صرح القرآن بذلك في أكثر من موضع ومع ذلك فقد قصرنا نحن المسلمين في تبليغ الأمم دعوة الإسلام التبليغ الأمثل فهناك آلاف الملايين ممن يعيشون ويموتون ولا يعرفون شيئاً عن الإسلام، وهناك ملايين أخرى من يعرفون عن الإسلام قشوراً مشوهة. فماذا فعلنا إزاء هؤلاء؟ ومن هنا كان لابد من الاجتهاد في إيجاد أحدث الوسائل التي تمكننا من إيصال الإسلام إليهم كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً (٧٢).

إن مضمون الدعوة الإسلامية واضح وثابت، ولكن الوسائل

(٦٩) سورة الفرقان / ١

(٧٠) سورة الأعراف/١٥٨

(٧١) سورة الأنبياء / ١٠٧

(٧٢) انظر المسلمون والعولمة ص١٤٣ – مرجع سابق بتصرف، وانظر العولمة مقاومة واستثمار ص٤٦ – د/ مرجع سابق.

والآليات هي التي تتطور بتطور الحياة ومعارف الإنسان، وهذا يتطلب من جميع المسلمين ولا سيما الدعاة ألا يرفضوا استثمار تلك الوسائل والأدوات الإعلامية الهائلة، إنما عليهم استخدامها في الدعوة، وانتقاء أفضل ما انتهى إليه العلم وتقنياته (٧٣) طبقاً لقاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما نص على ذلك علماء الشريعة والأصول.

ولا حرج على في سبيل تحقيق هذا الاستثمار الإيجابي لآليات العولمة – لا حرج عليهم من الاستفادة من أحد فنون الطباعة والتصوير والكمبيوتر والإذاعة والتلفاز، وخصوصاً الإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية وغيرها في الدعوة إلى الإسلام والتعريف به على أيدي العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية والعربية كل في مجال تخصصه.

ومن الإنصاف أن نقول:

إن سهولة الاتصالات ، ونقل المعلومات بلا شك سوف تحدث نقلة نوعية متقدمة في أساليب الدعوة إلى الإسلام. فتحرير وسائل الإعلام وتطورها وسهولة امتلاكها سيتيح مجالات أرحب وأوسع لأي فرد أو مجموعة أو منظمة تريد أن تقيم محطات فضائية أو وسائل إعلام أخرى : لنشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم النافع، والدفاع عن المسلمين، والرد على الشبهات التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون – بحرية دون وصاية أو رقابة رسمية، أو الخضوع لأنظمة مقيدة، ومن أمثلة ذلك : الجهود الحقيقية في أكثر من جهة لإنشاء قنوات فضائية إسلامية مستقلة في بعض البلاد المسلمة(٧٤)

ومما يؤكد أهمية هذا الاستثمار لتقنيات الإعلام في العصر الحديث أيضا: ما نلمسه على أرض الواقع المعيش من التغطية الإعلامية الواسعة للأحداث الجارية من خلال الفضائيات لشرح قضايا المسلمين المعاصرة : كالتغطية الإعلامية الواسعة لما يجرى في فلسطين المحتلة بحيث يتابع العالم ما يحدث لحظة بلحظة ، ويطلع على

(٧٣) المسلمون والعولمة ص ١٤٤ – مرجع سابق.

(٧٤) العولمة مقاومة واستثمار ص ٤٦ – مرجع سابق.

الممارسات الصهيونية هناك

ولا شك أن الإعلام له تأثير مباشر على صنع الرأي العام الذي يؤثر في بعض السلوكيات الخاطئة التي تتعرض لها بعض المجتمعات المعاصرة.

ثانيا: في مجال الإنترنت:

لقد أثمرت التقنية الحديثة، والتكنولوجيا المعاصرة ثروة هائلة من الثروات الإعلامية تتمثل في وسيلة ((الإنترنت)) وقد كسرت احتكار الغرب للمعلومات، وأتاحت الفرصة للوصول إلى المعلومات في الميادين المختلفة بالسرعة نفسها المتاحة للغربيين سواء أكانت معلومات علمية أم إخبارية، وإذا كان يقال إن العصر الذي نعيشه هو عصر المعلوماتية، وإن هيمنة الغرب هي بالمعلومات، وذلك باستخدامه الفاعل لها – فإن هذه الفرصة أصبحت متاحة لغيرهم إلى حد كبير.

ومن هذا المنطلق نستطيع القول بأن الإنترنت يعد من هذه الزاوية منبراً حراً دون رقيب، وميدانا فسيحاً دون فرض أية قيود لكل من يحسن استثماره واستغلاله في مصلحة الدعوة إلى الإسلام، ويستطيع أي مفكر مسلم أو داعية مسلم أن يطرح كل ما يريد من خلال صفحاته المؤثرة، ويمكن نشر الإسلام والعلم الشرعي، وإتاحته لكل من يطلبه من مسلمي العالم دون مشقة أو عناء. وكمثال على ذلك موقع (القوقاز) الذي يغطي أخبار المجاهدين الشيشان على شبكة الإنترنت (٧٥)

فلقد استطاع أن يحطم التعتيم الإعلامي عليهم، وأن يضع العالم في صورة عما يحدث هناك بشكل شبه يومي. كذلك نستطيع استخدام هذه الشبكة في مجال الاحتساب العام من خلال توسيع دائرته، وتطوير مفهومه ليتلاءم مع الآليات المتطورة، وبذلك نستطيع عملياً رفع كفاءة وفعالية المصلحين المحتسبين على المنكرات العامة الدولية منها والإقليمية (٧٦) فإذا وظفت هذه

(٧٥) انظر العولمة مقاومة واستثمار ص/ ٥٠ د / إبراهيم الناصر، وانظر المسلمون والعولمة ص ١٤٥ – د/ يوسف القرضاوي – مرجع سابق – بتصرف.

(٧٦) السابق ص /٥١ – بتصرف يسير.

التقنيات الحديثة ومنها الإنترنت الذي نتحدث عنه الآن، وبلغات مختلفة لنشر الإسلام فسوف تتحقق صورة واقعية من أعلام نبوة سيدنا محمد ﷺ عندما قال [ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين] (٧٧)

إن هذا الإنترنت وسيلة إعلامية، ويمكن أن تكون سلاحاً ذو حدين، وهي صالحة للبناء والهدم معاً. فليستخدمها المسلمون في سبيل الحق والخير لا الباطل والشر، ولنجعل منها أداة للبناء والتعمير لا للهدم والتدمير. وليس أدل على ذلك من أن غيرنا قد اتخذوا منها منبراً لنشر أديانهم الباطلة، ونحلهم المضلة، وفلسفاتهم المعاصرة، كما اتخذها بعض الناس للحديث عن الإسلام في أكثر من (٦٠٠) موقع، ومنهم غير مسلمين لا يؤمنون أصلاً بالإسلام، ومنهم من ينتمون إلى الإسلام من مبدعين ومنحرفين، وبعضهم يملك إمكانات هائلة كالقاديانيين فهؤلاء وأولئك يحاولون عبر هذه الوسيلة تشويه صورة الإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ومنهم مسلمون مخلصون ولكن لا يملكون القدرات العلمية ولا الفنية، ولا المادية لحسن عرض الإسلام. ومن هذه المسلمات الثابتة فإنه يجب علينا أن نقوم بهذا الدور المهم وأن نستفيد من تقنيات العولمة في جوانبها الإيجابية التي تساعدنا على تعريف العالم كله بالإسلام في صورته الإلهية الواضحة. ولاسيما وقد أصبح العمل بها في هذا المجال من الواجبات التي يفرضها علينا الدين، ومن الضرورات التي تحتمها علينا تطورات العصر. وعلى ذلك فلابد أن يكون لدى المسلمين على الإنترنت موقعاً إسلاميا متميزا موثوقاً به عندهم وعند غيرهم، قادراً على مناقشة الآخرين في إطار المنهج الرباني الذي صرح به القرآن في قوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ (٧٨) فالمسلم دائما يرنو ويهدف إلى الوصول للأحسن لا إلى الحسن فقط (٧٩)

(٧٧) الحديث أخرجه الحاكم وصححه.

(٧٨) سورة النحل / ١٢٥.

(٧٩) المسلمون والعولمة ص ١٤٧ – ١٤٨ مرجع سابق. بتصرف.

ثالثاً: في مجال الثقافة والاجتماع:

وفي هذا المجال أيضاً نستطيع المشاركة في هذا النوع من المؤتمرات والندوات في طرح وتناول الرؤى الإسلامية في شتى المجالات الثقافية والاجتماعية، ويمكن من خلال هذه المؤتمرات أن نبين مخاطر قيادة الغرب للعالم في هذه المجالات ببيان آثارها في الواقع المعاصر، ونوضح أن ذلك يعد نتيجة من النتائج المرة لحيرة البشرية عن مصدر الهدى والرشاد متمثلاً في الوحي الإلهي، وسوف ندرك تماماً أننا استطعنا من خلال هذه الندوات القيام بواجب الدعوة إلى الله، والشهادة على الأمم كلها.

وسوف نجد كذلك أننا نملك ما لا يملكه الآخرون، وأنه أتيحت الفرصة لنا لإبراز جوانب القوة التي نملكها أمام قوة الغرب المادية والتقنية، ولعله أن يهتدي من أراد الله له الهداية من خلال الدعوة إلى المنهج الحق، وبيان محاسنه ومقارنته بفساد وبطلان مناهج الآخرين.

ومما يزيدنا بالأمل والنجاح في بذل تلك الجهود: ما نراه من التأثير الخطير الإعلام الغربي وخاصة الأمريكي في نشر نمط الثقافة والحياة الأمريكية والعالم عبر الفضائيات والأفلام والمجلات والإنترنت — فإن الدعوات الدينية والأخلاقية وفي مقدمتها (الإسلام) لا يزال يعتنقه الناس في غير ما مكان في العالم. كذلك يستطيع العرب المسلمون أن يدعوا عالمية اللغة العربية في أوساط المسلمين غير الناطقين بها، وذلك بما يضخونه من مواد علمية وفكرية، وشرعية وقرآنية مكتوبة أو مسموعة بحيث يعتاد المسلمون من غير العرب قراءة هذه المواد سماعها مما يعيد لهم أصالة اللغة العربية بسبب العلاقة الوثيقة بينها وبين الإسلام (٨٠)

والخلاصة: أننا لا نستطيع أن ندرك استثمار بعض إيجابيات العولمة إلا في إطار الفهم العميق، والإدراك الصحيح لقوانين هذا العالم المحيط بنا، والدراسة الواعية

(٨٠) انظر العولمة مقاومة واستثمار ص ٥٢-٥٣ — مرجع سابق.

لطبيعة العولمة ومعرفة جوانب القوة وجوانب الضعف في مراكز القوى التي تمولها وتدفع عنها، ونتعرف كذلك على كيفية استخدام واستيعاب مجالات التقنية وتعميمها بحيث لا تنحصر في طائفة معينة من الناس دون الآخرين (٨١)

والإسلام الذي يرحب بكل ما تقدم أو تطور فيه خير ونفع للإنسانية لا يرى حرجاً ولا غضاضة في قبول هذا التطور الهادف إلى سعادة وصلاح الإنسان وتحضره في إطار استثمار الجانب الإيجابي من العولمة بشرط عدم المساس أو الخروج على الثوابت الإسلامية التي حددها الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، وبينتها سنة النبي محمد ﷺ

رفض الإسلام للعولمة في إطارها السلبي:

إذا أريد بالعولمة فرض الهيمنة الغربية المطلقة على العالم أو بمعنى آخر فرض الحياة الأمريكية على العالم على النحو الذي ذكرته عند التعريف بها ففي تقديري أنها لا يمكن أن تصلح لحكم العالم على

(٨١) السابق ص ٥٤ — بتصرف يسير.

هذه الصورة السلبية وذلك للأسباب التالية:

١ – إن العلمانية وهي النظام الذي حكم أمريكا والعالم الغربي نظام معيب. فهو نظام كافر بالله الواحد الأحد، وهو نظام متمرد على دين الله وشريعته، ولا يمكن لأي نظام يقوم على الكفر بالله، ويرفض شريعة الله أن يكون نظاماً صالحاً للحياة، وقد ظهر فساد هذا النظام العلماني لعلماء ومفكري الغرب وغيرهم كما بينت ذلك في موضع آخر، إضافة إلى وضوح الخلل والتصدع من خلال المشكلات الاجتماعية التي تعصف بالمجتمعات الغربية، ومن خلال انتشار الجريمة وكثرة الفساد.

٢ – إن فرض مثل هذا النظام على الأمم الأخرى يتنافى مع الحرية والديمقراطية التي تنادي بها أمريكا، ويتعارض مع خصوصيات الشعوب في المحافظة على دينها وهويتها وثقافتها وحضارتها، وعلى سبيل المثال فإن الأمة الإسلامية ترفض سلبيات هذه العولمة رفضاً قاطعاً لأنه بهذه الصورة يستهدف دينها وثقافتها.

٣- إن المردود المالي الذي ستحصله أمريكا والدول الغربية لن يفيد تلك الدول. فالمشكلة الاقتصادية التي تجتاح العالم بأسره ليس سببها في عدم وفرة المال على مستوى تلك الدول، ولكن السبب المباشر هو في الخلل الموجود في النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي سمح بتجمع أموال العالم في أيدي حفنة قليلة من الناس بينها الكثرة الغالبة لا تملك في نفس الوقت ما يسد فقرها وجوعها، ويواري عوراتها. إذاً المشكلة الحقيقية التي تواجه البشر هي في اكتناز مجموعة من الدول لأحوال العالم إذن فماذا يفيد أمريكا وغير أمريكا أن يزداد الأغنياء غنى، والفقراء فقراً ولهذا فقد نبه القرآن الكريم إلى مثل هذا الخلل في منعه المال عن الأغنياء في بعض الأحوال [٨٢] حتى لا يتضخم في أيدي قلة من الناس كما قال تعالى ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ [٨٣].. ﴾ ومن المفيد هنا أن نؤكد على أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجمع الناس على التواد والتراحم والمحبة والتسامح الذي هو من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية في مقابل المدنية الغربية التي تقوم على العصبية والتمييز بين الأسود والأبيض ولهذا على الرغم من التقدم المادي الذي نشاهده في تلك الحضارة إلا أنه قد سادها التدهور والانحلال الخلقي.

فالإسلام بناء على ذلك لا يرفض توحيد العالم كما يزعم دعاة العولمة لكنه يوافق على ذلك ويدعوا إليه بشدة بشرط أن تبقى لكل أمة خصوصيتها الثقافية والدينية والأخلاقية، وإنما الذي يرفضه الإسلام هو هذا التوحيد الذي يؤدي إلى وضع العالم كله في قالب واحد ، وتحت سيطرة وهيمنة الآخر المتعصب لحضارته وعاداته وتقاليده.

وقد أكد القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

(٨٢) انظر – نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص١٦٠ – ١٦١ – د/ عمر الأشقر، طبعة سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م – بتصرف يسير.

(٨٣) سورة الحشر / ٧

وَمُنذِرِينَ.. [٨٤] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ {٩٢} [٨٥] فالوحدة هي الأصل في الإسلام لكن من الضروري أن تخضع هذه الوحدة لا لبشر ولا لأي قوى عظمى بل تخضع لله تعالى وحده. وقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى إزالة الفوارق بين الناس جميعاً كما قال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا.. [٨٦] كما أن الدعوة الإسلامية ما جاءت لأمة دون أمة، وإنما جاءت للناس كافة قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً [٨٧] والإسلام دين منفتح لا يرفض ثقافة معينة لمجرد كونها ثقافة أجنبية أو من أصحاب ديانات أخرى، وإنما يدعوا إلى النظر فيها وفحصها بعناية، والأخذ بما فيها من نفع وخير، ودفع ما فيها من ضر وشر. فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها. ورحم الله الفقيه ابن رشد حين قال: ((ينظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم. فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم.. [٨٨]

وإذا كانت العولمة في إطارها السلبي تعني الهيمنة الأمريكية على العالم فهي بهذا المعنى لون جديد من أخطر ألوان الاستعمار، وقد عبر العارفون ببواطن الأمور في الغرب عن هذا المعنى، وصرحوا به من غير خفاء أو التواء. فحقيقة العولمة كما تصورها " روجيه جارودي " هي : لون جديد من ألوان الاستعمار، وأنها تعلن عن الوجه الآخر للهيمنة، والهيمنة تقودها دولة كبرى تحاول فرض نفوذها، وجبروتها على العالم[٨٩].

(٨٤) سورة البقرة / ٢١٣

(٨٥) الأنبياء / ٩٢.

(٨٦) الحجرات / ١٣.

(٨٧) سبأ / ٢٨.

(٨٨) انظر القيم الدينية وثقافة العولمة ص/٨٩ – ٩١ – د/ الصاوي محمد. نقلاً عن كتاب : فصل المقال ص١٣ أ لابن رشد – المكتبة المحمودية بالقاهرة ١٩٦٨م.

(٨٩) مجلة الاقتصاد الإسلامي. العدد رقم : ٢٢٩ – طبعة يوليو سنة ٢٠٠٠م – بتصرف.

وأطلق عليها " ريتشارد هبوت " في كتابه (العولمة والأقلمة) : اسم الاستعمار ولذلك يقول ((العولمة هي ما اعتدنا أن نطلق عليه في العالم الثالث لعدة قرون اسم : الاستعمار (٩٠)

العولمة كما عبر عنها هؤلاء وغيرهم كثير هي في الحقيقة : استعمار ولكنه استعمار جديد مطور. هدفه هو السيطرة على الإدراك، وبالسيطرة على الإدراك هي كلمة جديدة في القاموس السياسي اليوم يتم عن طريقها إخضاع النفوس وتعطيل العقول والتشويش على القيم، وتنميط السلوك، واختراق الهوية الثقافية للأفراد والجماعات والأمم.

إنها ثقافة جديدة تماما لم يشهد التاريخ لها مثيلا من قبل، إنها ثقافة إعلامية وبصرية تحاول صناعة الذوق الاستهلاكي اقتصاديا والرأي العام سياسياً، وتكوين رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ.

والعولمة على ما يبدو ربما تكون وبحدود معينة في صورتها السلبية هذه هي محاولة فعلية من جانب دول أوروبا بزعامة أمريكا ـ لإعادة تقسيم العالم وفق مبدأ الأقوى وتستخدم لتحقيق ذلك كل وسائل العلم الحديث والتكنولوجيا المعاصرة بدلاً من الاحتلال العسكري المباشر الذي كان سائداً من قبل (٩١).

مناقضة العولمة لسنة التنوع الإنساني:

لعل من المسلمات اليقينية، والحقائق الثابتة القول باستحالة قيام أي نظام إقليمي أو دولي أو عالمي على محو الخصوصيات أو إلغاء التنوع الذي قامت عليه فطرة الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى. حتى ولو توفرت العزائم والأدوات أو الوسائل اللازمة لذلك لأن التنوع الإنساني، ووجود الخصوصيات الثقافية هي سنة من سنن الله ـ قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {١١٨} إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ

(٩٠) مجلة البيان ص١١٦ ـ العدد ١٦٧ ـ بتصرف.

(٩١) انظر ـ نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص١٦٠ ـ د / عمر سليمان الأشقر مرجع سابق ـ بتصرف يسير.

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ (٩٢)﴾ وقال تعالى ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً {٤٣} ..(٩٣) ﴾

فالخصوصيات الثقافية سنة طبيعية من سنن الله تبتدئ بالفرد ويتمتع بها الأفراد في الأسرة الواحدة، وهي من الخصائص المركوزة في الفطرة الإنسانية كما قال تعالى ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {٣٠}..(٩٤) ﴾ إذن فالتفكير في التنميط أو الاستنساخ الثقافي والاقتصادي أو السياسي والاجتماعي أمر غير مقبول ومرفوض تماما لأنه مناقض للفطرة ومصيره دائما إلى الإخفاق والبوار ـ فكم من إمبراطوريات في التاريخ الحضاري والمعاصر حاولت تجاوز ذلك وإلغائه وجعل للأفراد والشعوب نسخا مكررة إلا باءت بالفشل، وما خبر الاتحاد السوفيتي الذي حاول مركسة العالم أو عولمته ماركسياً عنا ببعيد، ذلك لأنه لم يستطع أن يمركس نفسه.

بهذا التنوع أمر واقعي وواضح لكل عاقل منصف ليس في حاجة إلى أي دليل ولا يتطلب الاعتراف من أحد لأنه فطرة خلق الله عليها الإنسان في كل زمان ومكان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (٩٥)

واجب المسلمين لمواجهة خطر العولمة:

قبل أن أتحدث عن واجبات المسلمين لمواجهة تحديات العولمة أود أن أوضح خلاصة الموقف الإسلامي من هذه الظاهرة الغربية، فهذا الموقف يتلخص إذن في اتجاهين بارزين يحددان آراء كوكبة من العلماء والمفكرين ممن كتبوا عن تيار العولمة وذلك يتمثل فيما يلي:

الاتجاه الأول: ويتمثل في اتجاه الذوبان والاندماج والتأييد المطلق، وهو الذي ينطلق من أن العولمة محتوى وآليات هي خيار وحيد

(٩٢) سورة هود / ١١٨-١١٩

(٩٣) سورة فاطر / ٤٣

(٩٤) سورة الروم / ٣٠.

(٩٥)ظاهرة العولمة رؤية نقدية ص ٣٠ -٣٣ ـ د / بركات محمد مراد ـ كتاب مجلة الأمة القطرية ـ العدد ٨٦ ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ بتصرف.

حتمي لهذا العالم ولابد في زعم أصحاب هذا الاتجاه – من الذوبان فيها والانصهار الحتمي معها ويمثله طائفة من مفكري الغرب المعاصرين، وهؤلاء كثيراً ما يرفضون المواقف الأخرى بأساليب تقليدية عبر وسائل الإعلام كالاتهام بالبعد عن الواقعية، والانعزال عن العالم أو التزمت الديني. رافضين كل تحذير عن أخطارها وأضرارها التي لم تعد تطرق الأبواب وحدها، وإنما فتحت أعماق الديار والبيوت، وتدخلت في أخص خصوصيات الإنسان.

الاتجاه الثاني: وهو في تقديري اتجاه تقدمي عقلاني متوازن يحاول فهم قوانين العولمة دون التسليم بحتمية القيم أو المبادئ التي تنشرها، ويعرف كيفية مواجهة تحدي المحافظة على الهوية الإسلامية، والثوابت العقدية، والثقافية مع معايشة العصر والتفاعل معه بفكر واع متفتح، ورأي مستنير، وسلوك رشيد، ويرى أن التعامل مع العولمة لا يعني أنها واقع مؤرق يكسب الصفقة دائماً، أو أنه نوع من الاستسلام المهين. لأن التعامل الرشيد الواعي ، والتعايش الحذر، وتوظيف بعدها التكنولوجي والمعلوماتي، والحضاري الملائم – سيساهم بدور فاعل في مواجهة الهيمنة بأسلحة العولمة نفسها [٩٦].

ولذا فإن الموقف الصحيح منها: يقوم على مقاومتها فلسفة مادية، وقيماً مخالفة للفطرة السوية، وفي نفس الوقت استثمار وسائلها وآلياتها لنفع الإنسانية لا لتدميرها أو السيطرة عليها.

أما عن واجبات المسلمين في مواجهة العولمة فتتمثل في تنفيذ الخطوات التالية:

١- العمل على تعميق البعد العقدي والديني والخلقي لدى المسلمين قاطبة: ذلك أن العولمة في صورتها الراهنة تحمل روحاً علمانية مادية، وتؤسس حياة استهلاكية دنيوية بحتة. تختزل الإنسان في بعده المادي والاستهلاكي، وتهون من شأن القيم والمعايير الأخلاقية، والثوابت

(٩٦) العولمة مقاومة واستثمار ص ٥٤-٥٥ د / إبراهيم الناصر. طبعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م – الرياض – السعودية.

الدينية، كما يجب التركيز على التربية الدينية والأخلاقية في مختلف مؤسسات المجتمع المسلم للحماية من تيار الشهوات الجارف الذي تغذيه، وتدفع به فكرة العولمة من جهة الآليات والمحتوى.

٢- إبراز قيم التفوق الثقافي والفكري، والمقومات الحضارية المكافئة والملائمة لقيم العولمة الثقافية والحضارية مثل : الشورى والعدل، وحقوق الإنسان بأصولها الشرعية بدلاً مما يقابلها من القيم الغربية بأصولها العلمانية.

٣- المحافظة على الخصوصية الثقافية للمسلمين مع الانفتاح المنضبط، والذي يجعلنا نستوعب ما عند الآخرين من علوم ومنجزات علمية حضارية مع الحذر الشديد من التأثر السلبي لهذا الانفتاح.

٤- الحذر من ظهور تيارات دنيوية، ومدارس متحررة متأثرة بالاكتساح الحضاري، والتي تعمل على تفسير الإسلام وأحكامه وقيمه تفسيراً مداهناً لقيم وفلسفة الحضارة الغربية ويستجيب للروح المنهزمة التي يعيشها كثير من المسلمين.

٥- الاستعلاء بالإيمان والثقة بأن المستقبل لدين الإسلام، ولهذه الأمة، وتحرير العقل ضد التبعية لثقافة الغرب المادية أو الولع بها، واليقين بأن ذلك هو الطريق الصحيح للنهضة الإسلامية التي لابد من الإيمان بها، وأنها من مقتضيات الولاء الحق لهذا الدين، والبراءة من خصومه، وهي من لب الرسالات وطرائق المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وألا نكون أقل من ذلك الرجل غير المسلم (نيلسون مانديلا) الذي أراد أن يحرر شعبه من هذه التبعية[٩٧] عندما قال(حرروا عقولكم من ثقافة الرجل الأبيض تحرروا أرضكم من هيمنته)

٦- استخدام وسائل التقنية، وآليات العولمة في جانبها الإيجابي بكفاءة من أجل النهوض بالأمة وتقدمها، وذلك من خلال تنمية الوعي الإسلامي بمنهج الإسلام وإشاعة المفاهيم الصحيحة، ومقاومة النظرة الإقليمية الضيقة في النظر إلى مستقبل الإسلام في أتون الصراع العالمي.

وأخيرا: هناك العديد من المفاهيم والممارسات السائدة في مجالات عدة تعيق حركة التنمية في أبعادها

(٩٧) المصدر السابق – بتصرف.

المختلفة، ولعلها من الأسباب الرئيسية في تخلف المجتمع الإسلامي بالرغم من انتسابه إلى دين يدعوا إلى التحرر من كل عوائق الانطلاق في آفاق كل مصلحة في الدين والدنيا. فما لم نعالج هذه العوائق من داخل أنفسنا، ومن داخل عقولنا ومن أوساط مجتمعاتنا ونتحرر من الشعور بالهزيمة، والنقص تجاه دعاة العولمة، ونعتز بديننا وقيمنا ونتمثل قول الله تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ فإن لم نفعل كل ذلك فسوف نظل لقمة سائغة لوحوش غابة العولمة المتوحشة [٩٨]

وبالرغم من نجاح العولمة في التطور التكنولوجي فإنها قد فشلت فشلاً ذريعاً في تنمية الوعي الروحي، والقيم الدينية لدى معتنقيها الحقيقيين، ولهذا فسوف يظل الإسلام وحده هو دين العالمية الذي يعمل لسعادة الإنسانية كلها ـ من أجل إشباع جميع رغبات الإنسانية المادية والروحية جميعاً بالقدر القائم على التوازن بينهما، كما أن الإسلام يرفض كل أشكال الهيمنة والسيطرة التي تمارسها أنظمة العولمة، ويعمل دائماً لمصلحة الجميع لا لمصلحة الأقوياء فقط. ذلك لأن أي نظام يدعوا إلى التخلي عن القيم الدينية سوف تكون نتيجته الانحطاط الخلقي كما أشار ((جوستاف لوبون)) في كتابه عندما قال ((ولا تستطيع أي أمة الحفاظ على حضارتها وقوتها إلا بالحفاظ على الإيمان بالقيم الدينية ، وأن الأمم عندما تفقد هذا الإيمان، وتتعرض قيمها للجدل والشك سرعان ما تفنى وتزول [٩٩].

(٩٨) انظر ـ العولمة مقاومة واستثمار ص ٥٦-٥٨ د / إبراهيم الناصر، وانظر المسلمون والعولمة ص١٣٠ ـ ١٣٣ د / القرضاوي.

(٩٩) القيم الدينية بتصرف يسير. تطور الأمم ص ٥٠-٨٣ ، ١٧٢ـ ١٧٤ - ترجمة : عادل زعيتر ـ دار المعارف سنة ١٩٩٥م ـ القاهرة.

الخاتمة

وبعد : فقد تناولت في بحثي هذا بعض الجوانب المهمة التي قامت عليها العولمة، وهذا في تقديري غيض من فيض من جملة ما كتب عنها لا يخرج عن كونه محاولات علمية متواضعة لعلها تساهم بقدر من التصور والفهم الذي يمنح قدراً من الإدراك الواعي لدراسة ظاهرة العولمة وآلياتها المعاصرة وقد انتهيت من خلال هذه الدراسة إلى أن العولمة لون من ألوان الاستعمار الأوروبي الحديث للعالم الإسلامي ـ في قالب جديد على سبيل الخداع والتمويه، ومعلوم أن الاستعمار كما عودنا دائماً يغير عباءته. ويغير لونه كالحرباء، ويغير جلده كالثعبان، ويغير وجهه كالممثل، ويغير اسمه كالمحتال، ولكنه رغم كل هذه التغييرات يظل هو هو وإن غير شكله وبدل اسمه[١٠٠]

إن الإسلام هو الدين العالمي الوحيد الذي يملك كل السمات والخصائص التي تؤهله للبقاء وقيادة البشرية إلى الأمن والاستقرار، والتقدم الحضاري في كل قواعده وتشريعاته، لأنه الدين الإلهي الرباني الذي يصلح النفوس والقلوب والعقول والأعمال، وهو الصالح لأن يأخذ دوره في إصلاح العالم بأسره، وقد أدرك هذه الحقيقة الثابتة بعض علماء الغرب منهم (باول شتمز) ومما قاله في كتابه (الإسلام قوة الغد العالية) : ((سيعيد التاريخ نفسه مبتدءاً من الشرق عوداً على بدء من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام (يقصد منطقة الجزيرة العربية مهبط الرسالة والوحي) وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها. إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها، والاستفادة منها، وستقلب موازين القوى الأخرى. لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية [١٠١]

ومن أهم النتائج التي يمكن أن نخرج بها من هذا البحث: أن الغرب الذي تبنى هذه العولمة سيفشل حتماً في عولمة العالم ـ بمعنى محاولته تغيير هوية العالم وثقافته وجعلها

(١٠٠) المسلمون والعولمة ص/١٦ ـ ١٧ ـ د / يوسف القرضاوي ـ بتصرف.

(١٠١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ١٨٤ ـ د / عمر الأشقر ـ بتصرف.

تابعة له في كل مجالات الحياة — وسيبقى الإسلام هو القادر على توجيه العالم كله إلى ما فيه الخير، والتقدم المنشود. فالثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية تصلحان تماماً لأن ينضوي البشر تحت ظلالها وأنوارهما لأنهما يمثلان الإسلام وحضارته، والإسلام هو الدين الإلهي المنزل للناس جميعاً، وهو المبرأ من الهوى والانحراف كما قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً {١}﴾ (١٠٢)

وقد حكم الإسلام العالم على مدى أربعة عشر قرنا، ودخلت فيه شعوب مختلفة، وأجناس متنوعة، فتجمعت تحت لوائه، وهو لا يزال صالحاً ليقوم بالدور نفسه من جديد، وسيظل هكذا باقياً شامخاً عالمياً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله تعالى. قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً {٢٨}﴾ (١٠٣)

وبالله التوفيق

---

(١٠٢) سورة الفرقان / ١

(١٠٣) سورة الفتح / ٢٨

أهم المراجع

- **القرآن الكريم .**

١. إنسانية الحضارة الإسلامية. د / أحمد عمر هاشم — من سلسلة قضايا إسلامية — العدد ١٢٣. طبعة ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥. إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف. القاهرة.

٢. الإسلام في عصر العولمة.. د/ محمود حمدي زقزوق . طبعة ١٩٩٩م — القاهرة.

٣. العولمة مقاومة واستثمار. د / إبراهيم الناصر — طبعة ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٦م. الرياض — السعودية.

٤. القيم الدينية وثقافة العولمة. د / الصاوي الصاوي محمد — سلسلة قضايا إسلامية إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف . طبعة ١٩٩٩م — القاهرة.

٥. العولمة رؤية نقدية . د / بركات محمد مراد — عدد ٨٦ — كتاب الأمة طبعة ١٤٢٢هـ . دولة قطر.

٦. المسلمون والعولمة . د / يوسف القرضاوي . طبعة ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م — نشر دار التوزيع الإسلامية.

٧. الإسلام ومشكلات الفكر — د / فتحي رضوان — من سلسلة اقرأ — طبعة ١٩٧٣م. نشر دار المعارف بالقاهرة.

٨. العولمة والطريق الثالث — السيدياسين — مكتبة الأسرة طبعة ١٩٩٩م.

٩. العولمة. جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها. د / عبدالخالق عبدالله. مجلة عالم الفكر. العدد الثاني — المجلد الثاني والعشرون طبعة ١٩٩٩ — الكويت.

١٠. العولمة وموقف الإسلام منها د / عبدالفتاح الفاوي. البحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الرابع بكلية العلوم . جامعة القاهرة. سنة ١٩٩٩م.

١١. الإسلام والغرب. د / عبدالحفيظ عبدالرحيم محبوب. بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي السادس بكلية العلوم جامعة القاهرة ١٩٩٩م.

١٢. العولمة والهوية الثقافية. د / محمد عابد الجابري. مجلة المستقبل العربي العدد رقم : ٢٢٨ — فبراير ١٩٩٨م.

١٣. العولمة — طبيعتها — وسائلها — تحدياتها والتعامل معها — د / عبدالكريم بكار. الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م . مكتبة دار البيان الحديثة. الطائف — السعودية.

١٤. الإسلام وإنسان العصر د / نعمات أحمد فؤاد. عدد ٨٢ — طبعة ٢٠٠٢م — إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف — القاهرة.

١٥. تجديد التفكير الديني في الإسلام د / محمد إقبال

ـــ ترجمة : عباس محمود . طبعة القاهرة ١٩٦٨م.

١٦. التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام ـــ أنور الجندي ـــ طبعة دار الاعتصام ١٩٨٢م ـــ القاهرة.

١٧. الثقافة العربية وعصر العولمة . د / نبيل علي . عالم المعرفة عدد يناير ٢٠٠١م ـــ الكويت.

١٨. الثقافة الإسلامية للطفل كأحد متطلبات التعامل مع العولمة د / فتحي درويش محمد عيشبة ـــ بحث مقدم للمؤتمر الدولي الرابع بكلية دار العلوم ـــ جامعة القاهرة . ١٩٩٩.

١٩. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . لأبي الحسن الندوي ـــ الطبعة الثالثة عشر ١٩٨٢م ـــ نشر دار العلم بالكويت.

٢٠. مصر والعالم على أعتاب ألفية جديدة ـــ د / محمود عبدالفضيل.

٢١. المخططات الاستعمارية لمكافحة الاستعمار ـــ محمد محمود الصواف.

٢٢. الفكر الإسلامي ومستجدات العصر ـ محمود القليني ـ سلسلة قضايا إسلامية ـ العدد ١٢٢ ـ القاهرة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٣. فصل المقال ـ لابن رشد ـ طبعة ١٩٦٨م ـ المكتبة المحمودية بالقاهرة.

٢٤. كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة ـ د / مصطفى حلمي . بحث مقدم إلى المؤتمر الرابع بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٩٩م.

٢٥. السنن النفسية لتطور الأمم ـ جوستاف لوبون . ترجمة : عادل زعيتر. طبعة ١٩٥٠م ـ دار المعارف بالقاهرة.

٢٦. المقدمة ـ للعلامة ابن خلدون ـ طبعة دار الشعب.

٢٧. الدعوة الإسلامية في عصر ثورة المعلومات د / عبدالحميد مدكور ـــ بحث علمي مقدم إلى المؤتمر الدولي الخامس ـــ بكلية العلوم ـــ جامعة القاهرة ٢٠٠٠م.

٢٨. عالمية الإسلام والعولمة د / عبدالمقصود عبدالغني ـ بحث علمي مقدم للمؤتمر الدولي الرابع ـــ كلية دار العلوم. جامعة القاهرة ١٩٩٩م.

٢٩. صدام الحضارات ـــ لصموئيل هنتجتون ـــ ترجمة : طلعت الشايب ـــ تقديم: د / صلاح قنصوة طبعة ١٩٩٨م.

٣٠. ظاهرة العولمة بين الحقيقة والوهم ـــ أحمد عباس عبدالبديع. طبعة ١٩٩٨م ، جريدة الأهرام المصرية ـــ القاهرة.

٣١. نحو ثقافة إسلامية أصيلة ـــ د / عمر سليمان الأشقر ـــ الطبعة الثانية عشر ـــ ١٤٢٢هـــ ـــ ٢٠٠٢م ـــ الأردن.

فهرس الموضوعات